دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الفكر المعماري العربي : جذوره و أبعاده
المصدر:	دورية كان التاريخية
الناشر:	مؤسسة كان التاريخية
المؤلف الرئيسي:	العابد، بديع
المجلد/العدد:	س 3, ع 9
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
الشهر:	سبتمبر / رمضان
الصفحات:	126 - 145
رقم MD:	454513
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	المعتقدات الدينية، الآثار، الحضارة العربية، العمارة العربية، الخط العربي، العصر الجاهلي، العلوم عند العرب، المهندسون العرب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/454513

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفكر المعماري العربي
"جذوره وأبعاده"

د. بديع العابد
معماري استشاري
نائب رئيس الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم
عمان– المملكة الأردنية الهاشمية
badi@go.com.jo

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
بديع العابد، الفكر المعماري العربي: جذوره وأبعاده.– دورية كان التاريخية.– العدد التاسع؛ سبتمبر 2010. ص 126- 145.
(www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالمدرسة الأثرية العربية، وذلك بتوضيح نشأتها وأهدافها، وعناصر فكرها وأسلوبها وطرق تفسيرها، كما ورد في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم، ثم نعرض لآراء ولمساهمة العلماء المسلمين في تشكيل فكر هذه المدرسة وتكوينه. وتتطرق الدراسة بعد ذلك لدورها في تسجيل المنجزات الحضارية العربية وتوثيقها وتفسيرها في العصر الجاهلي وعلى وجه الخصوص المنجزات المعمارية. وتمتد هذه الدراسة على ثلاثة أجزاء: الأول، سيكرس للعصر الجاهلي وهو موضوعنا في هذه الورقة ويغطي الفترة الزمنية المبتدأة بنشأة الشعر الجاهلي إلى ظهور الإسلام، وسيكرس الجزء الثاني، لدراسة الفكر الأثري بالقرآن الكريم، أما الجزء الثالث، فسيكرس لدراسة انجازات العلماء المسلمين الأثرية من جغرافيين ومؤرخين ورحالة، وسيعنى الجزءان الأول والثاني بأسس وقواعد علم الآثار ومنهجه التفسيري والفكري، أما الجزء الثالث، فسيعنى بتطبيقات علم الآثار ومنجزاته وتطوره.

الفكر الأثري

ينبغي علينا في بادئ الأمر تعريف علم الآثار، لكي يتسنى لنا التعرف على فكر المدرسة الأثرية العربية. فعلم الآثار[1] هو: الدراسة العلمية للظواهر الحضارية للشعوب الغابرة (الحضارات المنقرضة)، وذلك للوقوف على تاريخ هذه الشعوب والتعرف على طرق معيشتها وتفكيرها وتفاعلها مع البيئة، ومن هنا كانت دراسة الآثار تشمل جميع أسباب الحياة اليومية للحضارات المنقرضة، وما خلفته من منشآت معمارية كالمساكن والهياكل ومواد البناء وتقنيته، إضافة إلى المنشآت المدنية كالسدود، والمنشآت العسكرية كالحصون والقلاع. كما تشمل الفنون من نحت وتصوير، وصناعة الحلي وأدوات الزينة والثياب، وطرق نسجها وتلوينها وتزينها، وكذلك الصناعات اليدوية، كأدوات الطعام، والأدوات الحربية، وينضوي تحتها أيضاً دراسة اللغات القديمة، لما لها من دور توثيقي من ناحية، ولكونها معبرة عن تفكير أصحابها من ناحية أخرى، وربما كانت دراسة الحضارات المنقرضة من خلال اللغة، أقوى دلالة في التعرف على انجازاتها الحضارية من استقصاء بقايا العمران واستنطاقها، وذلك لأن الهدف من الاستنطاق والاستقراء هو التوثيق باللغة في نهاية الأمر. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة فالمدرسة الأثرية، تتشكل من علمين متلازمين[2] هما: (1) علم الآثار، (2) علم اللغات.

ويبدو أنه لا غنى لأحدهما عن الآخر– على الأقل في المرحلة السابقة لانفراد اللغة بالتوثيق بالكامل– كما يبدو أنه من الصعب الفصل بين العلمين فهما يكملان بعضهما بعضا، فعلم الآثار، كما أسلفنا، يهتم بالأشياء والأشكال المادية، وعلم اللغات يهتم بالنصوص والنقوش والكتابات، التي تسهم بدورها وتيسر وتساعد على فهم المباني الأثرية، وتقدم المعلومات عن كثير من الأعمال والأشياء التي لم يبق لها أثر مادي. وسنعرض لدور اللغة عند كلامنا عن الاستقصاء الأثري والتفسير العلمي، كما سنعرض للعلاقة بين هذين العلمين لاحقاً في هذه الدراسة، وذلك بعد أن نجيب على تساؤل ملح من شأنه أن يوضح أمامنا منهاج هذه الدراسة، والسؤال هو: هل يصلح علم الآثار بأسلوبه وأهدافه لدراسة الحضارة العربية والعربية الإسلامية؟

والإجابة على هذا السؤال ذات شقين، وذلك لأن التاريخ العربي مر بمرحلتين حضاريتين وهما: مرحلة ما قبل الإسلام والمرحلة الإسلامية. أما مرحلة ما قبل الإسلام فتتضمن أيضاً مرحلتين حضاريتين[3]: الأولى، مرحلة العروبة غير الصريحة، واللغة العربية غير الصريحة، والثانية مرحلة ظهور العروبة الصريحة واللغة العربية الصريحة أو لغة القرآن الكريم. أما مرحلة العروبة غير الصريحة فتحتاج لدراستها لعلمي الآثار واللغات وذلك عن طريق التنقيب وتحديد هوية الأثر، وأصحاب الأثر ومعتقداتهم، ثم إلى الحفظ والترميم والعرض والنشر، وهذه الدراسة ليست معينة بهذه المرحلة، وذلك لأن فكر المدرسة الأثرية العربية لم يتشكل إلا في مرحلة العروبة الصريحة، ولكننا سنعرض لبعض من انجازاتها المعمارية التي وصلت إلينا موثقة في الشعر الجاهلي في مرحلة العروبة الصريحة، وربما يجدر بنا الإشارة إلى أن كثيراً من الدراسات الأثرية قد كرست لدراسة مرحلة العروبة غير الصريحة[4].

أما مرحلة العروبة الصريحة فهي التي أفرزت لنا أسس علم الآثار وقواعده وأسلوبه وأهدافه، والدراسة التي نحن بصددها ستكرس لعرض هذه المرحلة وتحليل انجازاتها. ويجب علينا هنا أن نعي حقيقة واضحة وهي التمييز بين بداية ونشأة كل من الحضارة العربية والمدرسة الأثرية العربية، فالحضارة العربية قديمة قدم التاريخ العربي[5]، في حين أن المدرسة الأثرية ابتدأت مع بداية مرحلة العروبة الصريحة وظهور الشعر الجاهلي، وذلك بالرغم من وجود كتابات ثمودية ولحيانية ودادنية ومعينية ونبطية ومسندية[6] وعربية[7]، في شمال غرب الجزيرة العربية (الحجر، العلا، تيماء، والبتراء)، وفي اليمن بجنوب الجزيرة العربية، وبالرغم أيضاً من وجود نقوش وكتابات مسمارية وبابلية وكلدانية وآشورية وآرامية وسريانية وكنعانية على الآثار السامية في العراق وسوريا وفلسطين. وذلك لأن الاهتمام بهذه الكتابات لم يأت إلا متأخراً بعد ظهور الإسلام (وبعد أن تشكلت وتكونت مفاهيم وعناصر وأسلوب المدرسة الأثرية العربية قبل ظهور الإسلام)، كما هو الحال في محاولات الهمداني والمسعودي والجاحظ وابن النديم والبغدادي وغيرهم، والتي سنعرض لهم لاحقاً في هذه الدراسة، أما الإجابة على الشق الثاني من السؤال، فهو أن علم الآثار لا يصلح لدراسة المرحلة الحضارية العربية الإسلامية للأسباب الآتية:

1- أن المرحلة الحضارية العربية الإسلامية بجميع ظواهرها الحضارية مؤرخة وموثقة كتابيا.

2- إن الإسلام جاء في سنواته الأولى بفكر كامل، وأن جميع الظواهر الحضارية لهذه المرحلة، بما فيها الظاهرة الحضارية المعمارية كانت نتيجة لإفرازات هذا الفكر وليس العكس.

3- أن المرحلة الحضارية العربية الإسلامية مرحلة متواصلة، منتشرة في المكان ومستمرة في الزمان، بدأت ونمت وتطورت ضمن لغة الإسلام وفكره وفلسفته، وكانت وما زالت وستبقى قادرة على تحريك وشحن فكر ظواهرها الحضارية، وبالذات الظاهرة المعمارية التي نحن بصددها في هذه الدراسة.

وحري بنا قبل أن ننهي الإجابة على السؤال المطروح أن ننوه بنقطة تبدو على جانب كبير من الأهمية وهي، ارتباط علم الآثار بفلسفة التاريخ العربي[8]، والعربي الإسلامي، خاصة وأن الفكر الإسلامي عني بدراسة الحضارات السابقة للإسلام للتفكر والتأمل والاتعاظ والاعتبار بما حصل لها، وربما لهذا السبب نشط العلماء المسلمون في دراسة الحضارات السابقة للإسلام، الأمر الذي أثرى فكر المدرسة الأثرية العربية، كما سيتبين لنا فيما يلي من عرض وتحليل لمفهوم الآثار.

مفهوم الآثار

الأثر لغة هو بقية الشيء، والأثر أيضاً الخبر[9]، وكذلك ورد الأثر بمعنى العين أي "العلامة"، فقيل "لا أثر بعد العين"[10]، وقيل أيضاً: "إقرار العين ببقاء الأثر بعد ذهاب العين"[11]، أي أن الأثر دال على وجود العين بعد زوال العين نفسها، فأثرها أي خبرها باق للدلالة عليها، وقد ورد مثل هذا المفهوم في شعر نسب إلى الملك[12] الحميري أسعد تبع[13]:

تلـــــك آثارنا تـــــدل علينـــــا   فـــــــانظروا بعـــــــدنا إلى الآثار

كما ورد هذا المفهوم في شعر لبيد بن أبي ربيعة[14]:

وكـــذا الزمـــان يـــذهب بالنـــاس   وتبقـــــــى الرســـــوم والآثار

وقد أكد القرآن الكريم المعاني والمفاهيم السابقة، ففي سورة "غافر" ورد ذكر الآثار بمعنى البقايا الحضارية، كما في قوله تعالى: **"كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ"**[15]، وورد الأثر بمعنى العلامة في قوله تعالى: **"سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ"**[16]، واستناداً إلى ما سبق، نستطيع أن نستخلص مفهومين للآثار: أولهما، أن الآثار مفهوم متعلق ببقايا الأشياء (الانجازات الحضارية)، وثانيهما، مفهوم يختص بالدلالة أو الإخبار عن هذه الانجازات. ومن خلال هذين المفهومين نشأت المدرسة الأثرية العربية ونمت وتطورت، في بداية الأمر، ثم العربية الإسلامية فيما بعد.
والواقع أن فكر المدرسة الأثرية اتسع وتشعب بمقدار اتساع وتشعب المفهومين السابقين، فبقايا الأشياء (الآثار)، قسمها السياغي في معالم الآثار اليمنية، (ص-10) إلى قسمين[17]: قسم ثابت يختص بالمباني والعمران وقسم متنقل يختص بالتماثيل والصور والأدوات، وهذه الدراسة معنية بالقسم الأول فقط وذلك لتوظيفه في دراسة الظاهرة الحضارية المعمارية العربية. والقسم الخاص بالعمران أيضاً مقسوم إلى قسمين: قسم خاص بالعمران الثابت وقسم خاص بالعمران المتنقل. ولقد أفرز لنا القسم الأول عناصر المدرسة الأثرية، وأفرز القسم الثاني أسلوبها، وللتعرف على هذه العناصر سنعرض لبداية الشعر الجاهلي ونشأته، وقد ذكرنا سابقاً أن نشأة المدرسة الأثرية ارتبطت بنشأة الشعر الجاهلي، وأن الشعر الجاهلي تفاعل مع البيئة التي نشأ بها اجتماعياً وجغرافياً ومناخياً، فكان وما يزال سجلاً حافلاً بالمنجزات الحضارية والأحداث الاجتماعية والسياسية العربية سواء المعاصر منها لنشأته أو السابق منها على نشأته[18]، الأمر الذي حدى بالخليفة عمر بن الخطاب بأن يصف الشعر بأنه "علم قوم لم يكن لهم أعلم منه"[19]. ولقد كانت باكورة هذا السجل الحضاري في شعر منسوب إلى الملك الحميري أسعد تبع[20]:

مــــآثرنا في الأرض مصـــداق قولنـــا   إذا مـــا طلبنـــا شـــاهدا ودلـــيلا
وعلمـــي بملكـــي ســـوف يبلـــى جـــدي   ويرجـــع ملكـــا كاســـف اللـــون مـــاحلا
وملـــك جميـــع النـــاس يبلـــى وملكنـــا   علـــى النـــاس باق ذكـــره لـــيس زائـــلا

وقال أيضاً[21]:

وريــــدان قصـــري في ظفـــار ومنـــزلي   بـــه اس جـــدي دورنا والمنـــاهلا
علـــى الجنـــة الخضـــراء مـــن أرض يحصـــب   ثمـــانون ســـدا تقـــذف المـــاء ســـائلا

يتضح لنا أن محاولة تبع لم تقتصر على تأكيد المفهومين السابقين (التوثيق الأثري والأخبار عنه) بل اتسعت لترسم العلاقة بين الأثر والبيئة الاجتماعية والجغرافية والمناخية، فربطت محاولة تبع بين الأثر وأصحابه، وبين الأثر والمكان، وبين الأثر والزمان، كما وضحت لنا طريقة (أسلوب) الأخبار عن الأثر. وهذه العلاقات في واقع الأمر، هي العناصر التي شكلت ركائز فكر المدرسة الأثرية، وهي موضوعنا التالي:

عناصر المدرسة الأثرية

1- الإنسان
2- الأثر
3- المكان
4- البيئة
5- الخبر

وهذه العناصر وبخاصة العناصر الأربعة الأولى تداخلت في أسلوب المدرسة الأثرية حتى أصبحت مادة له كما سيتبين لنا بعد قليل، أما العنصر الخامس فكان نتيجة لتداخل العناصر الأربعة، كما كان غاية وهدفا لأسلوب المدرسة الأثرية، بل هو الهدف لكل الدراسات الأثرية، وقد تكررت هذه العناصر في محاولات لعلقمه بن ذي جذن كما في قوله[22]:

كفـــى عـــبرة أن يمـــس ســـلحين قـــد هـــوى   وبينـــــون والـــــدنيا قريـــــب بعيـــــدها

وقال أيضاً[23]:

أبعـــــد غمـــــدان لا عـــــين ولا أثـــــر   أم بعـــــد بينـــــون يبـــــني النـــــاس أبيـــــاتا
وبعـــــد حمـــــير اذ شـــــالت نعامتهـــــ   ـــــنهم ريـــــب هـــــذا الـــــدهر أحثـــــاتا

وقال أيضاً[24]:

أولا تـــــرين وكـــــل شـــــيء هالـــــك   بينـــــون هالكـــــة كـــــان لم تعمـــــر
أولا تـــــرين وكـــــل شـــــيء هالـــــك   ســـــلحين مـــــدبرة كظهـــــر الأدبـــــر
أولا تـــــرين ملـــــوك ناعـــــط أصـــــبحوا   تســـــفى علـــــيهم كـــــل ريـــــح صرصـــــر
أو مـــــا سمعـــــت بحمـــــير وبيـــــوتهم   أمســـــت معطلـــــة مســـــاكن حمـــــير

وقال أيضاً[25]:

تعـــــرف في أثارهـــــم أنهـــــم   أســـــاس ملـــــك لـــــيس بالمبتـــــدع
تشـــــهد للماضـــــيين منـــــا بأن   نالـــــوا مـــــن الملـــــك ونقـــــب القلـــــع

مـــــا لم ينـــــل غـــــيرهم معشـــــر يتبعـــــون الـــــدهر ليســـــوا تبـــــع

وقال أيضاً[26]:

هـــــل لاناس بمثـــــل آثارهـــــم بآرم ذات البنـــــاء اليفـــــع

أو مثـــــل صـــــرواح ومـــــا دونهـــــا ممـــــا بنـــــت بلقـــــيس أو ذو تبـــــع

هذه المحاولات لم تقتصر على تكرار عناصر المدرسة الأثرية فحسب بل تجاوزت ذلك لتوضح وتؤكد طبيعة ونوعية العلاقة القائمة بين المدرسة الأثرية وبين مفهومي الدروس والعبر والتواصل الحضاري في فلسفة التاريخ العربي والعربي الإسلامي، القائمة على البحث والتنقيب والاعتبار والاتعاظ بما حدث للحضارات السابقة (المنقرضة). كما تمكنت هذه المحاولات من توظيف عناصر المدرسة الأثرية كمادة لأسلوبها، فأسفر هذا التوظيف عن تحديد عناصر هذا الأسلوب والذي سنعرض له فيما يلي من دراسة وتحليل.

عناصر أسلوب المدرسة الأثرية

1- تحديد هوية أصحاب الأثر
2- تحديد هوية الأثر واستعمالاته
3- المكان
4- مواد البناء
5- المؤثرات البيئية
6- الاستقصاء الأثري

والواقع أن هناك عناصر أخرى، كتقانة البناء والنقوش والكتابات (اللغة) وإحدى الظواهر الاجتماعية وهي الدين. ولكن ولمحدودية استعمال هذه العناصر رأينا أن نعرض للأول ضمن تقانة الاستقصاء الأثري، وأن نعرض للنقوش والكتابات واللغة والدين عند الكلام عن التفسير الأثري لاحقاً في هذا الجزء.

ولقد تأكدت العناصر السابقة عند شعراء البيئة العدنانية الذين كان لهم دور كبير في تدوين التاريخ العربي، وتوثيق منجزاته الحضارية، سواء كانت هذه المنجزات معاصرة لهم أو سابقة لبداية الشعر العربي ونشأته كما يتضح في شعر امرئ القيس[27]:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى، بين الدخول فحومل

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها، كأنه حب فلفل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

وان شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

وتيماء لم يترك بها جدع نخلة ولا آطما الا مشيدا بجندل

فأصحاب الأثر عند امرئ القيس هم الحبيبة وعشيرتها، والعمران هو منزل محبوبته وديار عشيرتها، والمكان هو الأرض المحصورة بين الدخول[28] وحومل، وتوضح[29] والمقراة، ومواد وتقانة البناء يمكن الاستدلال عليها من العوامل البيئية كالأرض الصلبة، بعد منقطع اللوى، التي تصلح لتثبيت الأوتاد الخاصة بالأخبية والخيام، والمؤثرات البيئية هي رياح الجنوب والشمال، كما تتضح مواد وتقانة البناء والمؤثرات في مدينة تيماء[30] التي أودى بعمرانها سيل[31] جارف فلم يبق منها إلا الحصون المشيدة بالحجارة الصلبة. ويجدر بنا أن ننوه بأن عرض امرئ القيس لما حدث بمدينة تيماء هو خروج عن المألوف عند شعراء البيئة اليمنية، وقد درج عليه شعراء البيئة العدنانية، فخرجوا عن نطاق التوثيق الاقليمي أو الخاص، كما هو الحال عند شعراء اليمن، ليتناولوا كل المنجزات الحضارية العربية بالتوثيق، الأمر الذي أسفر عن تزويدنا بمعلومات قيمة عن طبيعة العمران في البيئة العربية. ومما يجدر الإشارة إليه أن محاولة امرئ القيس التوثيقية لم تكن ابتكارا بل تقليداً لمحاولات توثيقية سابقة كما ذكر امرؤ القيس نفسه[32]:

عوجـــا علـــى الطلـــل المحيـــل لعلنـــا نبكـــي الـــديار كمـــا بكـــى ابـــن خـــذام

ولم تذكر كتب الأدب[33] من أمر ابن خذام شيئاً، ولكننا نستطيع القول بأنه رائد في التوثيق الأثري نهج امرئ القيس وغيره من الشعراء الجاهليين على منهجه.

ويبدو أن التباين في اهتمام كلا الفريقين اليمني والعدناني انعكس على العلاقة بين عناصر أسلوب المدرسة الأثرية، فتباينت العلاقة بين هذه العناصر تبعاً لمعايشة الموثق (الشاعر) مع الأثر. فالعامل البشري (الإنسان) والعمران عنصران متلازمان لا ينفصلان، فلا وجود للعمران بدون الإنسان ولا غنى للإنسان عن العمران، ولهذا نجد أن الآثار نتيجة مباشرة وحتمية لانفصال العامل البشري عن العمران. وحيث أن المدرسة الأثرية تعاملت مع نوعين من السكان: الأول مستقر كما في اليمن ومدن الحجاز (مدائن صالح، العلا، تيماء، مكة، المدينة، والطائف)، والمراكز الحضارية في العراق وسوريا وفلسطين، والثاني، غير مستقر ودائم التنقل والترحال من مكان إلى آخر داخل الجزيرة العربية في بوادي الحجاز ونجد والشام والعراق وديار بكر. هذا التنوع الاجتماعي أوجد بدوره نوعين من العمران: ثابت ومتنقل، كما أسلفنا، وبالتالي أسفر على نوعين من الآثار، فكانت آثار العمران الثابت أطول بقاءا وأكثر دلالة على العمران نفسه، وأما آثار العمران المتنقل فكانت سريعة الزوال وضعيفة الدلالة، وقد انعكست هاتان الحالتان على أسلوب المدرسة الأثرية، ففي الحالة الأولى أخذ الأسلوب صورة التوثيق المطلق المرتبط بالمشاهدة والمعبر عنه بالوصف والتعليق الشامل، وذلك لاستمرار وجود الأثر، ولهذا ربما نستطيع القول أن الاهتمام بالمكان كان المحور الرئيسي في أسلوب المدرسة الأثرية في اليمن كما تبين لنا في شعر تبع وعلقمة وربما يتضح أكثر في محاولة عبيد[34]:

حللنـــا بـــدار كـــان فيهـــا أنيســـها فبـــادوا وخلـــوا ذات شـــيد حصـــونها

فصـــاروا قطينـــا للفـــلاة بغربـــة رميمـــا وصـــرنا في الـــديار قطينهـــا

فســـوف يليهـــا بعـــدنا مـــن يحلهـــا ويســـكن عـــوض ســـهلها وحزونهـــا

أما في الحالة الثانية فكان أسلوب التوثيق فيها أكثر انفعالاً وأعمق تحليلاً وذلك لكون التوثيق فيها حقيقة معاشه، عبر فيها الموثق (الشاعر) عن انفعالاته من جراء معايشته للعمران ثم لآثار العمران ولذلك كان التركيز على العامل البشري (المحبوبة وعشيرتها) وعلى المكان في وقت واحد لارتباطهما بذكريات شخصية للموثق، ومن ثم التركيز عليه في المكان الذي كان يقيم فيه وربما لهذه الأسباب كان أسلوب المدرسة الأثرية لآثار العمران المتنقل أكثر دقة وتفصيلاً منه بالنسبة لآثار العمران الثابت، أضف إلى ذلك أن العوامل البيئية كانت أكثر تأثيراً في آثار العمران المتنقل منها في آثار العمران الثابت فالعواصف الرملية والرياح الشديدة والأمطار قادرة على طمس وتغطية ومحو آثار العمران المتنقل، ولكنها قليلة التأثير على العمران الثابت الذي لا يتأثر إلا بالأعاصير العاتية والسيول الجارفة والاهتزازات والزلازل الأرضية القليلة الحدوث، الأمر الذي تطلب جهداً أكبر وتقانة أعقد في الاستنطاق والاستقراء والاستدلال على آثار العمران المتنقل. إذا نحن بصدد أسلوب توثيقي ذو استقراء واستقصاء تحليلي يعتمد على التعايش مع الأثر عاطفياً ونفسياً واجتماعياً وعلميا، ولقد اعتمد هذا الأسلوب على الملاحظة الدقيقة، وتبين تقانة الوصف والتحليل العلمي كما تبين لنا من شعر امرئ القيس، ولكي نتعرف على هذا الأسلوب بدقة علينا أن نعرض لعناصره بالشرح والتحليل.

1- تحديد هوية أصحاب الأثر

اكتسب هذا العنصر أهميته من واقع الانتماء القومي كما هو الحال في محاولات الشعراء اليمنيين ومن واقع العلاقة الثنائية القائمة بين الموثق وقومه وبينه وبين محبوبته وما تخللها من تجربة عاطفية معاشه شملت الود والقرب والصد والهجران الأمر الذي فرض تسجيل هذه اللحظات العاطفية من واقع التعايش معها، فاتسعت بذلك دائرة التوثيق الأثري لتشمل الأماكن التي شهدت أحداث هذه العلاقة كمنازل وديار المحبوبة وقومها مما يسر لنا التعرف على مكان الأثر وزمانه. كما كان لشيوع هذه العلاقة في المجتمع الجاهلي الأثر الأكبر في تحديد عناصر المدرسة الأثرية، وكذلك عناصر وتقانة أسلوبها وقد ورد تحديد هوية أصحاب الأثر فيما تقدم عرضه فتعرفنا على أصحاب الآثار اليمنية كما تعرفنا على أصحاب آثار منطقة الدخول وحومل، والواقع أن تحديد هوية أصحاب الأثر كان صفة لازمة وعنصراً رئيسياً عند غالبية الشعراء الجاهليين، خاصة إذا كان الأثر ديار المحبوبة، وذلك لارتباطه بأسباب عاطفية ونفسية كما أسلفنا ونظراً لشمولية النظرة والاهتمام عند شعراء البيئة العدنانية نجدهم قد تجاوزوا الحدود القبلية وتعاملوا مع آثار غيرهم فحددوا أصحابها الأمر الذي أثري معلوماتنا الأثرية والمعمارية، ومثل هذا الاهتمام نجده في شعر زهير[35]:

أمـــــــن أم أوفى دمنــــــــة لم تكلـــــــم ... بحومانـــــــــة الـــــــــدراج فـــــــالمتثلم

فأقســـــمت بالبيـــــت الـــــذي طـــاف حولـــه ... رجـــــال بنـــــوه مـــــن قـــــريش وجـــــرهم

ومع أن البيت (الكعبة) ليس أثراً إذ ما زال عملاً معمارياً يؤدي وظيفته الدينية كبيت لله سبحانه وتعالى، إلا أن تحديد هوية بناته يساعد في دراسة تطور بناء وصياغة هذا العمل المعماري. ونجد مثل هذا التحديد في شعر طرفه[36]:

لخولـــــــة أطـــــــلال ببرقـــــــة ثهمـــــــد ... تلـــــوح كبـــــاقي الوشـــــم في ظـــــاهر اليـــــد

كقنطـــــــرة الرومـــــــي أقســـــم ربهـــــا ... لتكتـــــــنفن حـــــــتى تشـــــاد بقرمـــــد

فأصحاب الأثر عند طرفة هم: محبوبته خولة وقومها وكذلك الرجل الرومي الذي يرفض أن تبنى قنطرته إلا بالقرميد، وتعاقبت المحاولات فنجد أن النابغة حدد محبوبته كصاحبة للأثر[37]:

يا دار ميـــــــة بالعليـــــــاء فالســـــند ... أقـــوت وطـــال عليهـــا ســـالف الأبـــد

كما نجد في محاولات الأعشى سجلاً حافلاً بأصحاب الآثار في المناطق المختلفة من الجزيرة العربية[38]:

فأضـــــحت كبنيـــــان التهـــــامي شـــــاده ... بطـــــين وجيـــــار وكلـــــس وقرمـــــد

وكما في قوله[39]:

ألم تــــــــروا آرمــــــــا وعــــــــادا ... أودى بهـــــــا الليـــــــل والنهـــــــار

بادوا فلمـــــــــــــــــا أن تأدوا ... قـــــف علـــــى أثـــــرهم قـــــدار

وأهـــــــل غمـــــــدان جمعـــــــوا ... للـــــدهر مـــــا يجمـــــع الخيـــــار

وأهـــــل جـــــو اتـــــت علـــــيهم ... فأفســـــدت عيشـــــهم، فبـــــاروا

وكما في قوله[40]:

فاســـــتنزلوا أهـــــل جـــــو مـــــن منـــــازلهم ... وهـــــدموا شـــــاخص البنيـــــان، فاتضـــــعا

وكما في قوله[41]:

فلمـــــا أتـــــت أطـــــام جـــــو وأهلـــــه أنيخـــــت، ... وألقـــــت رحلهـــــا بفنائكـــــا

ولقد كان تحديد هوية أصحاب الأثر عرفا جارياً عند شعراء الجاهلية، والواقع أن هذا العنصر أكبر من أن تتسع له هذه الدراسة بالحصر والتحديد، لذل نكتفي بالأمثلة التي أوردناها لتحديد الإطار العام لهذا العنصر ودوره في التوثيق الأثري وعلاقته وارتباطه بتحديد هوية ونوع الأثر الذي سنعرض له فيما يلي بالدراسة والتحليل.

2- تحديد هوية الأثر واستعمالاته

ارتبط هذا العنصر بتحديد هوية أصحاب الأثر تارة وبتحديد المكان تارة أخرى أو بتحديد أصحاب الأثر والمكان معاً. ولقد تعرفنا على نوع الأثر من واقع العلاقة القائمة بين الأثر وبين أصحابه في المحاولات التي عرضناها سابقاً، كما تعرفنا من نفس المحاولات على نوع الأثر من خلال العلاقة القائمة بين الأثر والمكان. فمحاولة تبع نسجت ووضحت العلاقة القائمة بين أصحاب الأثر ونوعه كما في قصر ريدان الذي نسبه لنفسه وكذلك نسجت ووضحت العلاقة بين أصحاب الأثر والمكان من ناحية أخرى، فقد حدد تبع المكان (منطقة ظفار) الذي يقع فيه قصره. كما نسجت ووضحت العلاقة بين المكان ونوع الأثر كما في الثمانين سدا المقامين على أرض يحصب، وقد تعرفنا من محاولات تبع أيضاً على القبور[42]:

وغيمـــــــــان محفوفـــــــــة بالكـــــــــروم ... لهـــــــا بهجـــــــة ولهـــــــا منظـــــــر

بهـــــا كـــــان يقـــــبر مـــــن قـــــد مضـــــى ... مـــــن آبائنـــــا وبهـــــا نقـــــبر

إذا مقـــــــــــــابرنا بعثـــــــــــــر ... فحشـــــــو مقـــــــابرنا الجـــــــوهر

وقد نحج علقمة على نفس الوتيرة فربط بين أصحاب الأثر ونوع الأثر فحدد لنا المقابر التي نحتوها في الجبال كما حدد لنا عمران وقصور صرواح التي أسهم في بنائها كل من بلقيس وتبع.

ولقد استمر هذا النهج عند شعراء البيئة العدنانية فربطوا بين أصحاب الأثر ونوعه، وبين المكان ونوع الأثر. ويتضح هذا الربط فيما تقدم ذكره من شعر لأمرئ القيس وزهير وطرفة والنابغة والأعشى. وتحديد نوع الأثر يفيدنا في معرفة أنواع المنشآت المعمارية التي كانت مستعملة في المرحلتين الحضاريتين العربيتين: الجاهلية والإسلامية، الأمر الذي يسر لنا دراسة الظاهرة الحضارية المعمارية من خلال التوثيق الأثري الذي نجده في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ومؤلفات العلماء المسلمين، ولكننا الآن معنيون بتحديد نوع الأثر في المرحلة الحضارية العربية (الجاهلية). ففيما تقدم عرضه تعرفنا على بعض أنواع العمران التي كانت قائمة في الجاهلية كالقصور والبيوت ولآطام (الحصون) والمقابر والسدود والمباني الدينية كالكعبة الشريفة التي ورد ذكرها فيما تقدم ذكره من شعر زهير وأيضاً في شعر الأعشى[43]:

فـــــاني وتـــــوبي راهـــــب اللـــــج والـــــتي ... بناهـــــا قصـــــي والمضـــــاض بـــــن جـــــرهم

وقد ذكر الأعشى مباني أخرى للعبادة ككعبة نجران[44]:

وكعبـــــة نجـــــران حـــــتم عليـــــك ... حـــــتى تنـــــاخي بأبوابهـــــا

كما تعرفنا على بناء الأبراج من شعر الأعشى[45]:

يبـــــني القتـــــود بمثـــــل الـــــبرج متصـــــلا ... مؤيـــــدا قـــــد أنافـــــوا فوقـــــه بابا

وأيضاً[46]:

ومغـــــــافر ســـــــدس تخـــــال محالـــــه | برجــــا، تشـــــيده النبـــــيط القرمـــــدا

وكذلك عرفنا بعض أنواع المباني التجارية من شعر الأعشى[47]:

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاومشل شلول مشلشل شول كما تعرفنا عليها في شفر طرفه[48]:

فـــــان تبغــــني في حلقــــة القـــــوم تلقـــني | وان تلتمســــــني في الحوانيـــــت تصـــــطد

وكذلك تعرفنا على منارات الأديرة من شعر امرئ القيس[49]:

تضـــــيء ظلامـــــا بالعشـــــاء، كأنهـــــا | منـــــارة ممســـــي راهـــــب متبتـــــل

وتحديد هوية ونوع الأثر يسر لنا التعرف على مبان ومنجزات معمارية لم يعد لها وجود كبعض القصور في العراق، وكدار الندوة في مكة، فقد ورد ذكر الحضر في شعر الأعشى[50]:

ألم تـــــر للحضــــر اذ أهلـــــه بنعمــــــي | وهــــل خالــــــد مــــــن ســــــلم

أقـــــام بهـــــا ســـــابور الجنـــــود | حـــــولين تضـــــرب فيـــــه القـــــدم

وتقع هذه المدينة المحصنة (الحضر) في منطقة تكريت بين دجلة والفرات، وقد حصنها الضيزن[51] أحد ملوك قضاعة، وقد حاول سابور ملك الفرس هدمها على مدار عامين ويبدو أنه لم يتمكن: ولا يفوتنا هنا أن ننوه بوعي المحاولة التوثيقية وبالذات توثيق محاولة التخريب. ولهذه المدينة المحصنة قصة طويلة ارتبطت بالأسطورة، وردت في المصادر الإسلامية، وسنعرض لها عند الكلام عن دور الاثاريين المسلين في تطوير فكر المدرسة الأثرية العربية. كما تعرفنا من شعر الأسود يعفر[52] على بعض قصور وكعبات اللخميين في الحيرة:

مـــــاذا أؤمـــــل بعـــــد آل محـــــرق | تركـــــوا منـــــارلهم وبعـــــد أياد؟

أهـــــل الخورنـــــق والســـــدير وبارق | والقصـــــر، ذي الكعبـــــات مـــــن ســـــنداد

ويقع قصر الخورنق في مدينة الحيرة وكذلك بارق والكعبات، وقد ارتبط الخورنق بقصة اسطورية سنعرض لها لاحقاً عند الكلام عن دور الأثاريين المسلمين.

أما المباني الإدارية، كدار الندوة في مكة فقد تعرفنا عليها من خلال كتابات المؤرخين المسلمين[53] وهي أول دار بنيت بمكة، بناها قصي بن كلاب بن مرة، عندما تملك مكة وقد توارثها أحفاده إلى أن اشتراها معاوية بن أبي سفيان وجعلها داراً للإمارة[54]. ونستطيع بما سبق أن نتعرف على الدور الذي لعبه هذا العنصر في تحديد أنواع المنشآت المعمارية التي كانت قائمة في العصر الجاهلي وارتباطها في المكان الذي سنعرض له فيما يلي من دراسة وتحليل.

2- المكان

أشرنا فيما سبق إلى أن المكان ارتبط بتحديد أصحاب الأثر، وبتحديد هوية الأثر ونوعه. وهذه العناصر الثلاثة مجتمعة تشكل في رأينا تقانة التوثيق الأثري فهي توفر العناصر الرئيسية لمحاولة دراسة أو إعادة دراسة أثر ما. إذ بواسطتها نستطيع تحقيق شخصية الأثر وتاريخ إنشائه والغرض الذي أنشئ من أجله. وأما دور المكان منفرداً فيتعلق بتحقيق وتحديد موقع الأثر عند الشروع في أي دراسة أثرية، ويبدو أنه لم يغب عن بال الموثقين (الشعراء) العرب ما لهذا العنصر من أهمية، فعنوا به وحرصوا على تحديده، وتبين لنا هذا الحرص فيما تقدم عرضه من محاولات توثيقية لشعراء البيئتين اليمنية والعدنانية. وقد سبقت الإشارة إلى طبيعة العلاقة بين الأثر والمكان، وإلى تأثير هذه العلاقة على أسلوب المدرسة الأثرية. فثبوت الأثر في البيئة اليمنية زاد من قيمة المكان في التوثيق الأثري، وأضعف من قيمة المكان كوسيلة للاستنطاق والتعرف على الأثر، ولكن عدم ثبوت الأثر في البيئة العدنانية زاد من قيمة المكان في عمليتي التوثيق والاستقصاء الأثريين.

وقد تعامل الموثقون أو الأثاريون العرب مع المكان ابتداء من التقسيم الجغرافي العام للجزيرة العربية، وانتهاء بموقع الأثر (البناء). وأجمع الجغرافيون العرب–كما سنعرض لآرائهم لاحقاً في هذا الجزء– على أن الشعراء الجاهليين قسموا الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام: الحجاز، تهامة، نجد، اليمن. وضمن الأقسام الأربعة الأولى كانت منازل القبائل العربية العدنانية[55] والقحطانية النازحة إلى البيئة العدنانية. وأما اليمن فكانت مقصورة على العرب العاربة (القحطانيين)، ولقد ورد ذكر منازل وديار هذه القبائل في شعر الجاهليين، ومن خلالها وثقت الأماكن الأثرية وحددت في الجزيرة العربية فنجد ذكر السراة في شعر الفضل اللهبي[56]:

يـــــؤبن مـــــع الركائـــــب كـــــل مصـــــر | ويأتـــــين الأقـــــاول بالســـــراة

كما ورد ذكر الحجاز في شعر لبيد[57]:

مريـــــة حلـــــت بفيـــــد وجـــــاورت | أهـــــل الحجـــــاز فـــــأين منـــــك مرامهـــــا

كما ورد في شعر طرفه[58]:

ولكـــــن دعـــــا مـــــن قـــــيس عـــــيلان عصـــــبة | يســـــوقون في أعلـــــى الحجـــــاز البرابـــــرا

كما ورد ذكر تهامة في شعر ابن براقة الشمالي[59]:

أروى تهامـــــة ثم أصـــــبح جالســـــاً | بشـــــعوف بـــــين الشـــــت والطبـــــاق

وورد ذكر نجد في شعر عمرو بن كلثوم[60]:

يكـــــون ثفالهـــــا شـــــرقي نجـــــد | وســـــاحتها قضـــــاعة أجمعينـــــا

كما ورد ذكر نجد في شعر أبي ذؤيب[61]:

في عانـــــة بجنـــــوب الســـــي مشـــــربها | نمـــــور ومصـــــدرها عـــــن مائهـــــا نجـــــد

وورد ذكر اليمن في شعر عبد يغوث[62]:

فيـــــا راكبـــــا امـــــا عرضـــــت فـــــبلغن | نـــــداماي مـــــن نجـــــران ان لا تلاقيـــــا

أبا كـــــرب والأيهمـــــين كليهمـــــا | وقـــــيس بأعلـــــى حضـــــرموت اليمانيـــــا

والملاحظ أن هذا التقسيم الجغرافي أخذ شكلا طولياً باستثناء اليمن فقد شملت الشريط العرضي الجنوبي للجزيرة. وقد حوت هذه الأقسام المدن والمراكز الحضارية المعروفة كمكة والمدينة وصنعاء.. بالإضافة إلى منازل القبائل العربية وديارها. كما اشتملت على مجموعة من الأماكن: كالدارات والبرق (مفردها برقة) والمغاني، والدمن، والمعاهد، والربع، والمحال، وسنأتي على ذكر هذه الأماكن ودورها في التوثيق الأثري عند الكلام عن دور العلماء والجغرافيين المسلمين في بناء وتطوير فكر المدرسة الأثرية العربية. ونكتفي هنا بأن نعرض للأماكن التي سبق ذكرها في هذه الدراسة، فنجد أن قصر ريدان والسدود التي ذكرها تبع تقع في مدينة ظفار وأرض يحصب وكلا المكانين يقعان في إقليم اليمن، كما عرفنا أن قصور بلقيس وتبع تقع في مدينة صرواح وهي أيضاً بإقليم اليمن. كما تعرفنا على مكان منازل قوم محبوبة امرئ القيس الكائنة بين منطقتي الدخول وحومل بأرض اليمامة، كما تعرفنا على مدينة تيماء كمركز ومكان أثري يقع في شمال إقليم الحجاز، وتعرفنا أيضاً على مكان آثار دار خولة، محبوبة طرفة بن العبد، الكائنة ببرقة تهمد، بمنازل بني دارم، وكذلك دارمية، محبوبة النابغة، الكائنة بمرتفع الأرض عند ماء بني سعد المعروف[63] بالسند، أما زهير فقد حدد

لنا مكان منازل أم أوفى، الكائنة بحومانة الدراج، عند منقطع رمل الثعلبية في بلاد اسد[64]. أما الأعشى، فحدد لنا مكان حصون طسم وجديس، الكائنة بمدينة جو باليمن، كما حدد لنا مكان كنيسة (كعبة) نجران بأن نسبها إلى المدينة نفسها، وتقع مدينة نجران في جنوب الجزيرة العربية، كما حدد لنا مدينة تيماء كمكان لآثار حصن الأبلق[65]:

ولا عـــــاديا لم يمنــــــع المـــــوت مالـــــه   ورد بتيمــــــــــاء اليهــــــــودي أبلـــــــق

وتعرفنا على مكان آثار حصن مدينة الحضر والكائنة في منطقة تكريت بين دجلة والفرات، حيث ديار ومنازل قضاعة أصحاب الأثر. كما تعرفنا على مكان قصر الخورنق في شعر الأسود يعفر، في مدينة الحيرة حاضرة دولة المنادرة. والواقع أن الأماكن الأثرية التي ورد ذكرها في الشعر الجاهلي كثيرة مما يجعلنا نكتفي بهذا القدر، خاصة وأننا لسنا بصدد حصرها، وإنما نهدف إلى توضيح فكرة المكان وقيمته الأثرية من ناحية، وأهمية هذا العنصر وارتباطه ببقية العناصر من ناحية أخرى، وبخاصة مواد البناء، والتي سنعرض لها فيما يلي من دراسة وتحليل.

4- مواد البناء

تعرفنا من خلال العرض السابق على نوعين من البيئة البشرية والجغرافية إحداهما بيئة مستقرة ثابتة، والأخرى متنقلة. وقد انعكس هذا التنوع البيئي والاجتماعي على طبيعة البناء ونوع مواده. فالبيئة الثابتة استعملت مواد البناء الصلبة كالحجارة والرخام والقرميد والجير والكلس والخشب، أما البيئة المتنقلة فقد استعملت المواد الخفيفة السهلة الفك والتركيب والمتعددة الاستعمال كالمنسوجات الصوفية والجلود والأعمدة الخشبية. وقد ورد ذكر هذه المواد في شعر كل من شعراء البيئة اليمنية والعدنانية، فنجد في شعر تبع ذكرا لمواد البناء الرئيسية كالرخام والتجميلية كالذهب والجواهر[66]:

ومــــــأرب قـــــد نطقـــــت بالرخـــــام   وفي ســــــــقفها الـــــــذهب الأحمـــــــر

وقال أيضاً[67]:

عرشــــــها شــــرجع ثمــــانون باعــــا   كللتـــــــــه بجــــــــوهر وفريــــــــد

وبــــــدر قـــــد قيدتـــــه وياقـــــوت   وبالتـــــــــبر أيمـــــــا تقيــــــــد

كما نجد ذكر لمواد البناء في شعر علقمة[68]:

وأيضاً:

أعـــــلاه فيـــــه رخــــام عــــال   وأســـــــــــفلها جـــــــــروب

وأيضاً[69]:

واســــــــأل بينــــــون وحيطانهــــــا   قـــــد نطقـــــت بالـــــدر والجـــــوهر

وأيضاً[70]:

عمــــرت حمــــير تشــــيد قصــــوراً   مــــن رخـــــام ومرمـــــر وســـــلام

نحتــــوا الصـــــخر في الجبــــال بيــــوتا   فهمومهــــــا بقــــــوة واعتــــــزام

كما نجد ذكرا لمواد البناء ولبعض العناصر التجميلية كالتماثيل في شعر أمية بن أبي الصلت[71]:

منطـــــق بالرخـــــام المســـــتزاد لـــــه   تــــرى علــــى كــــل ركــــن منــــه تمثــــالا

وتطور الوضع عند الأفوه الأودي فذكر لنا مواد البناء ووظيفتها في عملية البناء[72]:

والبيــــت لا يبتــــنى إلا لــــه عمــــد   ولا عمــــــــاد إذ لم تــــــــرس أوتاد

فــــان تجمــــع أوتــــدة وأعمــــدة   وســــاكن بلغــــوا الأمــــر الــــذي كــــادوا

والأعمدة والأوتاد المذكورة في شعر الأفوه لا تستعمل إلا في بيوت الشعر والأخبية والخيام. ولقد ورد ذكر الخيام والقباب المصنوعة من الجلد في شعر عنترة [73]:

وفي أرض الحجــــاز خيــــام قــــوم   حــــلال الوصــــل عنــــدهم حــــرام

وبــــين قبــــاب ذاك الحــــي خــــذر   رداح لا يمــــــاط لهــــــا لثــــــام

وأيضاً[74]:

أروح مــــن الصــــباح إلى مغيــــب   وأرقــــد بــــين أطنــــاب الخيــــام

ولقد ورد فيما تقدم ذكره من شعر الأعشى ذكر مواد البناء المستعملة في تهامة واليمن والمناطق الصخرية في شمال الحجاز: كالرخام والحجارة والطين والجير والكلس والقرميد والبلاط، وورد ذكر هذه المواد بالإضافة إلى المرمر والأجر فيما تقدم ذكره من شعر النابغة. وتحديد مواد البناء التي بنى بها أثر ما، تكون أحد العوامل التي تساعد في التعرف على هوية هذا الأثر، كما أن نوعية مواد البناء تعطينا فكرة واضحة عن إمكانية بقاء الآثار أو اندثارها، فمواد البناء الصلبة تساعد على بقاء الآثار فترة طويلة وذلك من خلال مقاومتها للعوامل والمؤثرات البيئية من رياح وأمطار وأعاصير وسيول وهزات أرضية، أما المواد غير الصلبة وضعيفة المقاومة فلا تساعد على بقاء الآثار بل تساعد على سرعة اندثارها وزوالها. ومن هنا تتضح العلاقة بين مواد البناء والعوامل والمؤثرات البيئية التي سنعرض لها بشيء من الدراسة والتحليل.

5- المؤثرات البيئية

تنحصر المؤثرات البيئية بين طبيعة المكان الجغرافية المقام عليه الأثر والعوامل المناخية، فالحالة الأولى حددت لنا نوعية العلاقة بين الأثر والبيئة الجغرافية المقام عليها الأثر، سواء من حيث استعمال مواد البناء المحلية أو من حيث التكوين الطبيعي للمكان، أو من حيث موقع الأثر في أرض منبسطة أو على منحدر أو مرتفع من الأرض. فبناء الأثر بالمواد المحلية يساعد في التعرف على الأثر من ناحية كما أنها تساعد على بقاء الأثر إيجاباً أو سلباً تبعاً لطبيعة هذه المواد. أما التكوين الطبيعي للمكان فيساعدنا في معرفة ما إذا كان المكان معرضاً للهزات الأرضية أو الزلازل الأمر الذي يسهل على الأثري عملية استقصاء تاريخ الأثر من ناحية أو وجوده من ناحية أخرى إذا لم يعد لهذا الوجود أثر بفعل الهزات الزلازل. وأما موقع الأثر فيساعد في حفظ الأثر، خاصة إذا كان على مرتفع من الأرض، من أيدي العابثين أو من العوامل المناخية كالسيول الجارفة. وأما إذا كان الأثر في منخفض من الأرض فربما يكون عرضة للعبث وللسيول والأمطار والرياح التي تساعد جميعها في خراب الأثر واندثاره، أما العوامل المناخية فهي الأمطار والسيول والرياح والعواصف والأعاصير، وجميعها ذات تأثير سلبي على الآثار كما أسلفنا. وقد تنبه الأثاريون العرب لهذه المؤثرات البيئية فذكروها بإسهاب وتفصيل. إذ ورد في الشعر الجاهلي ذكر السيول والأعاصير والرياح الشديدة التي تذهب بالآثار. وتعرفنا على أربعة أنواع من الرياح الرئيسية[75] هي: الجنوب والشمال والصبا والدبور، فالرياح الجنوبية تهب من اليمين باتجاه الشمال وسميت باليمانية أيضاً، وأما الشمال فتهب من الشام باتجاه الجنوب وسميت بالشامية، وأما الصبا فتهب من الشرق باتجاه الغرب وسميت بالقبول لأنها تأتي من قبل الكعبة[76]، وأما الدبور فتهب من الغرب باتجاه الشرق وسميت بذلك لأنها تأتي من دبر الكعبة، وقيل لأن مستقبل الشرق يستدبرها[77]، أي تأتي من خلفه. وهناك رياح فرعية كالنكباء[78] وهي التي تهب بين ريحين رئيسيتين، والنسيم وهي رياح ضعيفة لا تمحو الآثار، والزعزع وهي التي تقلع الأشجار وتمحوا الآثار، والذاريات والمعصرات وهي التي تجيء

بالمطر، والاعصار والروامس والصرصر[79] وهي الرياح الباردة وغالباً ما تهب باتجاه رأسي، والعقيم والعاتية والقاصفة[80] وهي التي تقصف الأشجار وتكسرها وتمحو الآثار. وسنعرض لبعض ما ورد منها في الشعر الجاهلي، وقد سبق وأن عرضنا لشعر علقمة الذي يوضح فيه تأثير الريح الصرصر في خراب عمران مدينة ناعط كما وضح لنا تأثير الرياح في خراب قصر غمدان[81]:

أبعد غمدان حين أمسى سفاية المور والرياح

وجاء ذكر هذه الرياح، بأسمائها تارة، وبصفاتها تارة أخرى، في الشعر الجاهلي، كمسببة لطمس الآثار ومحوها واندثارها، وقد أشرنا لرياح الجنوب والشمال في شعر امرؤ القيس، وبينا كيف أن ريح الجنوب تعمل على طمس الآثار ومحوها، وكيف أن ريح الشمال تعمل على الكشف عن هذه الآثار، كما بين لنا امرؤ القيس دور السيول في محو آثار مدينة تيماء التي لم يبق منها سوى الحصون المشيدة بالحجارة الصلبة. وقد ورد ذكر ريح الصبا في شعر الحادرة[82]:

بغريض سارية، أدرته الصبا من ماء اسجر، طيب المستنقع
لعب السيول به، فأصبح ماؤه غلا، تقطع في أصول الخروع

كما ورد ذكر الصبا في شعر المسيب بن علس[83]:

أو صوب غادية، أدرته الصبا ببزيل أزهر، مدمج بسياع
وإذا تهيج الريح من صرادها تلجأ، ينيخ النيب بالجعجاع

وورد ذكر ريح الدبور في شعر الأعشى[84]:

لها جرس كحفيف الحصاد صادف بالليل ريحا دبورا

كما ذكر لنا الأسود يعفر بعض المؤثرات البيئية التي تسبب خراب العمران[85]:

أرض تخيرها، لطيب مقيلها، كعب بن مامة، وابن أم دؤاد
جرت الرياح على محل ديارهم فكأنما كانوا على ميعاد

كما عرض النابغة للمؤثرات البيئية التي تسبب خراب العمران[86]:

أهاجك من سعداك مغنى المعاهد بروضة نعمى، فذات الأساور
تحاورها الأرواح ينسفن تربها وكل ملث ذي أهاضيب راعد

والأرواح هنا هي الرياح والملت الأمطار كما عرض للرياح الهوج التي تؤدي بالعمران وتسرع في خرابه فقال[87]:

أقوى وأقفر من نعم، وغيره هوج الرياح بهابي الترب، موار

كما عرض للاشراج وهي المياه المنحدرة من أعلى إلى أسفل وكذلك للرامسات (وهي الرياح الشديدة) ودورها في خراب العمران[88]:

فمجتمع الأشراج غير رسمها مصايف مرت، بعدنا، ومرابع
كأن مجر الرامسات ذيولها عليه، حصير، نمقته الصوانع

وكذلك عرض للساريات وهي السحب المحملة بالأمطار الهواطل[89]:

دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل
وقفت بربع الدار قد غير البلى معارفها والساريات الهواطل

كما نجد في شعر طرفة عرضاً للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران فيقول[90]:

لهند بخزان الشريف طلول تلوح وأدنى عهدهن محيل
وبالسفح آيات كان رسومها يمان، وشته ريدة وسحول
أربت بها ناجة تزدهي الحصى واسحم وكاف العشي هطول
فغيرن آيات الديار، مع البلى وليس على ريب الزمان كفيل

وكذلك نجد في شعر عنترة عرضا للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران[91]:

طال الثواء على رسوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحرمل
فوقفت في عرصاتها متحيرا أسل الديار كفعل من لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أنيسها والرامسات وكل جون مسبل

وأيضاً[92]:

لمن طلل بوادي الرمل بالي محت آثاره ريح الشمال
وقفت بها ودمعي من جفوني يفيض على مغانيه الخوالي

والمقصود بالأنواء هو الرياح والأمطار القوية التي تطمس الآثار، كما نجد في شعر زهير عرضا للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران[93]:

لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن دهر
لعب الزمان بها وغيرها بعدي سواقي المور والقطر

والسواقي هي الرياح الشديدة المحملة بالأتربة والقطر المطر. كما نجد في شعر لبيد عرضا للمؤثرات البيئية التي تتسبب في خراب العمران[94]:

هلكت عامر فلم يبق منها برياض الأعراف إلا الديار
غير آل ومنة وعريش رغدتها الرياح والأمطار

وأيضاً[95]:

دمن تلاعبت الرياح برسمها حتى تنكر نؤيها المهدوم

وأيضاً[96]:

عفـــــت الـــــرياح محلهـــــا فمقامهـــــا ... بمـــــنى تأبـــــد غولهـــــا فرجامهـــــا
فمـــــدافع الـــــريان عـــــرى رسمهـــــا ... خلقـــــا كمـــــا ضـــــمن الـــــوحي ســـــلامها
رزقـــــت مرابيـــــع النجـــــوم وصـــــابها ... ودق الرواعـــــد جودهـــــا فرهامهـــــا
وجـــــلا الســـــيول عـــــن الطلـــــول كأنهـــــا ... زبـــــر تجـــــد متونهـــــا أقلامهـــــا

وأيضاً[97]:

ورمـــــى دوابرهـــــا الســـــفا وتهيجـــــت ... ريـــــح المصـــــايف ســـــومها وســـــهامها

كما ورد تأثير الرياح على العمران في شعر سلامة بن جندل[98]:

كانـــــت لنـــــا مـــــرة دارا فغيرهـــــا ... مـــــر الـــــرياح بســـــافي الـــــترب مجلـــــوب

وحقيقة الأمر أن المؤثرات البيئية لعبت دوراً كبيراً في خراب العمران واندثار الآثار، ولقد أثرى الأثاريون العرب معلوماتنا عن هذه المؤثرات التي ساعدت بدورها في عملية تخير الأوقات المناسبة للتنقيب عن الآثار من ناحية، وفي عملية الاستقصاء الأثري من ناحية أخرى، وهو ما سنعرض له فيما يلي بشيء من الدراسة والتحليل.

6- **الاستقصاء الأثري**:

يشكل هذا العنصر العمود الفقري لأسلوب المدرسة الأثرية، إذ من خلاله نستطيع استقصاء وتحديد وتأكيد جميع العناصر السابقة. ويشمل هذا العنصر التحقق من أصحاب الأثر وهويته ومكانه، كما يشمل التأكد والتحقق من مواد وتقانة بناء الأثر، فعملية الاستقصاء الأثري استثمرت المؤثرات البيئية بشرياً وجغرافياً في التعرف على الأثر.

والتحقق من أصحاب الأثر يتأتى بطريقتين: الأولى من خلال النقوش والكتابات المتروكة على الأثر، والثانية من خلال العلاقة بين أصحاب الأثر ومكان الأثر. فالأولى كانت مقتصرة على آثار العمران الثابت في مناطق الاستقرار الحضري كاليمن والمراكز الحضارية في باقي الجزيرة العربية. ويبدو أن الاهتمام بالنقوش والكتابات الأثرية لم يكن وارداً في عرف الأثاريين في ذلك الوقت، وربما يكون مرد ذلك إلى أن الشعراء اليمنيين قاموا بتوثيق منجزاتهم الحضارية بأنفسهم، الأمر الذي يدعوا إلى الاعتقاد بأنهم كانوا على علم بلغة أو لغات الكتابات المنقوشة على الآثار اليمنية، في المرحلة التي سبقت عملية التوثيق الأثري، التي ابتدأت بمحاولات أسعد تبع في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي. فاللغات السبئية والمعينية والقتبانية والدادنية واللحيانية لا تختلف كثيراً عن المسند الحميري وعلى هذا الأساس فإن استعمال اللغة في عملية الاستقصاء الأثري تبدو أمراً وارداً بالرغم من عدم وجود دليل صريح على ذلك، أما بالنسبة لعدم استثمار النقوش والكتابات التي وجدت على آثار باقي المراكز الحضارية في الجزيرة العربية، في عملية التحقق من أصحاب الأثر، فربما يعود ذلك إلى توارد الخبر وتداوله بين الناس حتى وصل إلى شعراء البيئة العدنانية، هذا بالإضافة إلى جهلهم باللغات التي دونت بها الكتابات الأثرية، وربما لعب توارد الخبر وتداوله دوراً في عدم محاولة شعراء البيئة العدنانية فك رموز هذه اللغات وفهمها، أضف إلى ذلك عدم وجود الضروري الحضارية لفك رموزها وفهمها.

أما التحقق من أصحاب الأثر من خلال العلاقة بمكان الأثر فهو أمر متعارف عليه عند شعراء البيئة العدنانية فقد ارتبطت القبائل العربية بمساكن وديار متعارف على مكانها ضمن التقسيم الجغرافي للجزيرة العربية بالرغم من كثرة التنقل داخل حدود هذه الأماكن الجغرافية، هذا التنقل أسفر بدوره عن تقسيمات فرعية لمنازل وديار القبائل العربية ارتبط بها الأثر فتحددت شخصية أصحابه من خلال هذا الارتباط كما في برقة "ثهمد" "وحومانة الدراج" واللكيك والحرمل" و"الدخول فحومل وتوضح والمقراة"، وخلاف ذلك من الأماكن التي ارتبطت بمنازل وديار القبائل العربية. ولما كانت محاولات شعراء البيئة العدنانية واضحة سواء في تحديد أصحاب الأثر أو نوعه أو مكانه، فلم يكن للنقوش والكتابات دور في عملية الاستقصاء الأثري، هذا بالإضافة إلى عدم استعمال النقوش والكتابات على منازل وديار العدنانيين في مرحلة العروبة الصريحة في الفترة السابقة لظهور الإسلام والواقعة ما بين نشأة الشعر الجاهلي إلى ظهور الإسلام.

وحيث أن الاستقصاء الأثري لم يقتصر على التحقق من هوية أصحاب الأثر ونوعه ومكانه، بل تجاوز ذلك إلى البحث في بقايا ومخلفات العمران وأصحاب الأثر واستثمار العمران البيئي من نبات وحيوان. ولقد استثمر الأثاريون عناصر بقايا العمران ومخلفات أصحاب الأثر، في عملية الاستقصاء الأثري: كالنؤي وهو الأخدود الذي يحفر حول البيت (الخيمة) لمنع دخول مياه المطر إلى داخل البيت، والاثا في وهي الحجارة التي تستعمل في موقع النار، وكذلك الرماد المتبقي في مواقد النار، كما استثمروا بقايا أثاث ومواد البيت كالعهن وهو بقايا الصوف، والاوراي والاواخي وهي الحبال والأوتاد التي تستعمل لربط الدواب. ولقد وصلت عملية الاستقصاء الأثري من التقانة إلى درجة وصف وتحليل عملية البناء، هذا بالإضافة إلى استثمار عناصر العمران البيئي من نبات وحيوان، فالنبات يكون من بقايا العمران البشري، والحيوان يجد لنفسه مكاناً ومأوى ومرتعاً في بقايا العمران البشري. وسنعرض لجميع هذه العناصر كما وردت في الشعر الجاهلي، فعلى سبيل المثال نجد في شعر النابغة عملية استقصاء أثري متكاملة، فقد استثمر فيها بقايا العمران كالنؤي وموقد النار والأحجار المستعملة أما في موقد النار أو في بناء الجدران القليلة الارتفاع حول الأخبية والبيوت، كما استثمر عناصر العمران البيئي كالثمام وهو نبات شجري قليل الارتفاع يزرع حول الأخبية أو في عرصات (ساحات) الحي، فيقول[99]:

عوجـــــوا، فحيـــــوا لـــــنعم دمنـــــة الـــــدار ... مـــــاذا تحيـــــون مـــــن نـــــؤي وأحجـــــار
أقـــــوى وأقفـــــر مـــــن نعـــــم، وغـــــيره ... هـــــوج الـــــرياح بهـــــابي الـــــترب مـــــوار
وقفـــــت فيهـــــا، ســـــراة اليـــــوم اســـــألها ... عـــــن آل نعـــــم، أمـــــونا، عـــــبر أســـــفار
فاســـــتعجمت دار نعـــــم، مـــــا تكلمنـــــا ... والـــــدار لـــــو كلمتنـــــا ذات أخبـــــار
فمـــــا وجـــــدت بهـــــا شـــــيئاً ألـــــوذ بـــــه ... إلا الثمـــــام وإلا موقـــــد النـــــار

وتتضح عملية الاستقصاء الأثري بصورة واعية في الأبيات الثلاث الأخيرة كما تتضح في المحاولة التالية لنفس الشاعر[100]:

يا داريـــــة بالعليـــــاء فالســـــند ... أقـــــوت وطـــــال عليهـــــا ســـــالف الأبـــــد
وقفـــــت فيهـــــا أصـــــيلانا أســـــائلها ... عيـــــت جـــــوابا، ومـــــا بالربـــــع مـــــن أحـــــد
إلا الأوراي لأيا مـــــا أبينـــــه ... والنـــــؤي كـــــالحوض بالمظلومـــــة الجلـــــد

هذه المحاولة توضح العناء الذي تكبده الأثاري في عملية الاستقصاء والاستنطاق فلم يتمكن من العثور على الأوراي إلا بعد بحث وتنقيب وذلك لعدم ظهوره بوضوح، وأما النؤي فقد اتسع حتى أصبح كالحوض في الأرض الصلبة على شكل مغاير ومخالف لما كان عليه عند حفره وأثناء استعماله عندما كانت دارمية مأهولة، مما سبب عناء في التعرف عليه وتتابع محاولات الاستقصاء والاستنطاق الأثري عند النابغة بما فيها من عناء ومكابدة فيدخل عنصرين جديدين وهما الزمن والرماد[101]:

توهمـــــت آيات لهـــــا فعرفتهـــــا ... لســـــتة أعـــــوام وذا العـــــام ســـــابع
رمـــــاد ككحـــــل العـــــين لأيا أبينـــــه ... ونـــــؤي كجـــــذم الحـــــوض أثلـــــم خاشـــــع

فالأول يرقى بعملية الاستقصاء الأثري إلى عملية التنقيب عن الآثار ويدلل على أن هذا التنقيب كان هدفا مقصوداً وغاية واعية عند النابغة. أما الرماد فهو عنصر مادي من بقايا ومخلفات أصحاب الأثر استثمره النابغة للاستدلال على عمران قوم محبوبته، والصعوبة التي واجهت النابغة في البحث عن هذا العنصر وتوظيفه في التعرف على ديار ومنازل محبوبته وعشيرتها تؤكد الهدف المقصود والغاية الواعية لتحويل الاستقصاء الأثري إلى عملية شاملة للتنقيب عن الآثار. والنابغة لم يكن الوحيد الذي استثمر الرماد في عملية الاستقصاء الأثري فنجد الأعشى قد استثمر هذا العنصر أيضاً[102]:

لميثـــــاء دار قـــــد تعفـــــت طلولهـــــا، عفتهـــــا نضيضـــــات الصـــــبا، فمســـــيلها
لمـــــا قـــــد تعفـــــى مـــــن رمـــــاد وعرصـــــة، بكيـــــت، وهـــــل يبكـــــي إليـــــك محيلهـــــا

على أن محاولة المخبل السعدي تبدو أعمق فكراً وأوسع تحليلاً[103]:

وأرى لهـــــــا دارا بأغـــــــورة الـــــــ ســـــــيدان لم يـــــــدرس لهـــــــا رســـــــم
إلا رمـــــــادا هامـــــــدا دفعـــــــت عنـــــــه الـــــــرياح خوالـــــــد ســـــــحم
وبقيـــــــة النـــــــؤي الـــــــذي دفعـــــــت أعضـــــــاده فتـــــــوى لـــــــه جـــــــذم
فكـــــأن مـــــا أبقـــــى البـــــوارح وإلا مطـــــار، مـــــن عرصـــــاتها، الوشـــــم
يقـــــرو بهـــــا البقـــــر المســـــارب واخـــــ تلطـــــت بـــــه الآرام، والأدم
وكـــــان اطـــــلاء الجـــــآدر والـــــ غـــــزلان، حـــــول رســـــومها، الـــــبهم
لم تعتـــــذر منهـــــا مـــــدافع ذي ضـــــال، ولا عقـــــب، ولا الـــــزخم

العمق الفكري في محاولة السعدي يتضح في تفسيره للأسباب التي غيرت لون الرماد وأبقت عليه وهي الأمطار، فالماء عند اختلاطه بالرماد يدكن لونه وتتماسك ذراته فتثقل وتقاوم هبوب الرياح عليها، كما وضح أن خوالد السحم (حجارة الموقد) قد ساعدت في حماية الرماد بدفعها عنه الرياح، كما استدل على الأثر من خلال التعرف على بقايا النؤي المنهار. هذا التحليل العميق لبقايا العمران يؤكد أن الاستقصاء الأثري قد ارتقى إلى عملية شاملة للتنقيب عن الآثار. ومما يعزز وجهة النظر هذه ويؤكدها هو أن عملية الاستقصاء الأثري أعقبت بوصف شامل لما آلت إليه الديار من خراب وهجران تسبب في استبدال العامل البشري بعناصر العمران البيئي كالحيوانات البرية أمثال: البقر الوحشي وأولادها والجآدر والغزلان والبهم من أولاد الغنم. هذا الاستبدال البيئي أصبح عنصراً من عناصر الاستقصاء الأثري، فأينما وجدت عناصر العمران البيئي من الحيوانات البرية غير الأليفة في بيئة العمران البشري، تأكد انحسار العامل البشري من هذه البيئة، ووجود الخراب والهجران، لأن الحيوانات البرية بطبيعتها لا تتعايش مع العامل البشري. وهذا النوع من الاستدلال والاستقصاء الأثري سبق إلى ذكره واستثماره امرؤ القيس:

تـــــرى بعـــــر الآرام في عرصـــــاتها وقيعانهـــــا كأنـــــه حـــــب فلفـــــل

ولقد توسع الحارث بن حلزة اليشكري في استثمار العمران البيئي في عملية الاستقصاء الأثري فاستعرض خبرته السابقة في استثماره[104]:

لمـــــن الـــــديار عفـــــون بالحـــــبس آياتهـــــا كمهـــــارق الفـــــرس
لا شـــــيء فيهـــــا غـــــير أصـــــورة ســـــفع الخـــــدود يلحـــــن كالشـــــمس
أو غـــــير آثار الجيـــــاد بأعـــــ ـــــراض الجمـــــاد، وآيـــــة الـــــدعس
فوقفـــــت فيهـــــا الركـــــب أحـــــدس في بعـــــض الأمـــــور وكنـــــت ذا حـــــدس

فبين أن الأصورة، وهي قطعان البقر، قد حلت مكان العامل البشري في الديار وهذا التغيير في طبيعة العمران مماثل للتغيير الذي تحدثه النار في حجارة الموقد فتحولها سفعا أي سوداء تميل إلى الاحمرار. كما تعرف واستدل من خلال آثار الجياد على المحابس والاوراي التي كانت تربط بها. ولقد استثمر هذا العنصر الأخنس التغلبي[105]:

فمـــــن يـــــك أمســـــى في بـــــلاد مقامـــــه يســـــائل اطـــــلالا، لهـــــا، لا تجـــــاوب
فلابنـــــة حطـــــان بـــــن قـــــيس منـــــازل كمـــــا نمـــــق العنـــــوان في الـــــرق كاتـــــب
تظـــــل بهـــــا ربـــــد النعـــــام كأنهـــــا امـــــاء تزجـــــى بالعشـــــي حواطـــــب

وتحدد الاستدلال هنا بواسطة النعام- وهي أكثر الحيوانات نفوراً وقلقاً في مسكنها ومرعاها- من العمران البيئي والتي تنعم بالهدوء والطمأنينة لخلو المنازل من العامل البشري، كما استثمر العامل البشري في عملية الاستقصاء الأثري كل من المرقش الأكبر[106] والمرقش الأصغر[107] ولبيد[108] وغيرهم كثر ونكتفي هنا بالإشارة إلى محاولة زهير بن أبي سلمى لشمولها[109]:

ودار لهـــــا بالـــــرقمتين كأنهـــــا مراجـــــع وشـــــم في نواشـــــر معصـــــم
بهـــــا العـــــين والآرام يمشـــــين خلفـــــه واطلاؤهـــــا يـــــنهض مـــــن كـــــل مجـــــتم
وقفـــــت بهـــــا مـــــن بعـــــد عشـــــرين حجـــــة فـــــلأيا عرفـــــت الـــــدار بعـــــد تـــــوهم
آثافي ســـــــفعا في معـــــــرس مرجـــــــل ونـــــؤيا كجـــــذم الحـــــوض لم يتـــــثلم
فلمـــــا عرفـــــت الـــــدار قلـــــت لربعهـــــا ألا أنعـــــم صـــــباحا أيهـــــا الربـــــع واســـــلم
كـــــأن فتـــــات العهـــــن في كـــــل منـــــزل نـــــزلن بـــــه حـــــب الفنـــــا لم يحطـــــم

فابتدأ عملية الاستقصاء الأثري باستثمار عناصر العمران البيئي كالعين وهي بقر الوحش، والآرام والغزلان، ويبدو أنه اختار عناصر العمران البيئي ليبدأ بها، ليوحي بالهجران الكامل للعامل البشري، ثم أكد هذا الهجران بتحديد المدة الزمنية التي ابتعد فيها عن ديار امرأته أم أوفى[110]. وجدير بنا أن نلاحظ أن عامل الزمن لم يقتصر على تأكيد الهجران فحسب، بل ارتقى بالاستقصاء الأثري إلى التنقيب عن الآثار، فجعل من الأول هدفاً للأخير، وارتقى بالأخير إلى محاولة واعية ومحددة الهدف وهو التعرف على ديار امرأته. ولكن الأمر لم يتوقف عند وعي محاولة زهير وإنما فيما أضفته هذه المحاولة من وعي على فكر المدرسة الأثرية العربية، هذا الوعي تأكد في تكرار إدخال عنصر الزمن في محاولة النابغة التي سبق أن أشرنا إليها. فإذا عدنا إلى محاولة زهير، لوجدنا أنه انتقل إلى عملية الاستقصاء بعد أن أكد الهجران ووضح الهدف، فابتدأ بالتعرف على عناصر الدار، معتمداً على قوة الملاحظة وتقانة الوصف، فعرض لحجارة الموقد وكيف آل لونها إلى السواد المشوب بالحمرة بفعل النار، ثم عرض للنؤي المنهار ولبقايا المعرس (الرحل) وكذلك لبقايا الصوف المتناثر بين بقايا المنازل كثمار شجر الفنا ذي اللونين الأسود والأحمر، وينتهي من هذا الاستقصاء للتعرف على دار امرأته.

والاستقصاء الأثري لم يقتصر على معرفة الأثر فحسب، بل استثمر عملية التفسير الأثري من خلال الوصف التفصيلي لتقانة وأسلوب البناء، فقد سبق وأن عرضنا لمحاولة الأفوه الأودي التي بين فيها تقانة بناء البيوت بالأوتاد والأعمدة، وسنعرض فيما يلي محاولة لطرفة يصف فيها تقانة بناء القبور[111]:

أرى قـــــبر نحـــــام بخيـــــل بمالـــــه كقـــــبر غـــــوي بالبطالـــــة مفســـــد

تـــــرى جتـــــوتين مـــــن تـــــراب، عليهمـــــا صـــــفائح صـــــم مـــــن صـــــفيح منضـــــد

فتقانة البناء عند طرفة تتساوى في قبري النحام وهو الغني كثير المال قليل الإنفاق، والضال المفسد والمبدد لماله، ويصف هذه التقانة بأنها تتكون من كومتين (جتوتين) من التراب عليهما حجارة عريضة وصلبة، إلا أن هذه التقانة تختلف عند لبيد[112]:

إذا دفنـــــــــــت آباك فاجعـــــــــــل فوقـــــــــه خشـــــــــبا وطينـــــــــا

وصـــــــــــفائحا صـــــــــما روا ســـــــــيها يســـــــــددن الغضـــــــــونا

ليقـــــين وجـــــه المـــــرئ سفســـــاف الـــــتراب ولـــــن يقينـــــا

والاختلاف هنا يتضح في تغطية الميت بألواح الخشب والتطيين عليها بالطين ثم تغطيتها بأحجار عريضة متلاصقة ببعضها البعض بحيث لا يترك بينها فروج، لكي تقي وجه الميت من تسرب الأتربة التي ستوضع فوق هذه الصفائح الحجرية. والاختلاف بين التقنيتين ربما يكون في أسلوب التفسير وطريقته وليس في طبيعة التقانة نفسها، فإذا قارنا بين التفسيرين نجد أن تفسير طرفة بسيط بينما نجد تفسير لبيد أكثر تحليلاً وعمقاً وشمولاً. وتقانة البناء توضح لنا ارتباط الاستقصاء الأثري بالتفسير الأثري.

فيما تقدم من دراسة وتحليل عرضنا لمفهوم علم الآثار ولعناصر الفكر الأثري ولعناصر أسلوب المدرسة الأثرية، وبينا التداخل بين علم الآثار وعلم اللغات كما بينا التداخل بين عناصر الفكر الأثري وعناصر الأسلوب الأثري، وعرضنا بالشرح والتحليل لتقانة التوثيق والاستقصاء من خلال عناصر الأسلوب الأثري، وبينا أن الهدف من الدراسات الأثرية هو التوثيق الأثري للتعريف بالمنجزات الحضارية المعمارية العربية، ونرى أن حصيلة ما تقدم من عرض وتحليل هو أن الشعراء العرب في الجاهلية أسسوا علم الآثار وارسوا قواعد وأسس فكر المدرسة الأثرية العربية والتي سنوضح منهجها في تفسير الآثار فيما يلي من دراسة وتحليل.

التفسير الأثري

لقد نهجت المدرسة الأثرية العربية في تفسيرها للآثار منهجين:

1- التفسير بواسطة الأسطورة.

2- التفسير العلمي.

1- التفسير بواسطة الأسطورة.

التفسير بواسطة الأسطورة كان شائعاً عند العرب وكانوا ينسبون كل غريب من البنيان إلى سليمان[113] عليه السلام، وقد ورد التفسير بواسطة الأسطورة في شعر النابغة[114]:

الا ســـــــليمان إذ قـــــــال الإلـــــــه لـــــــه قـــــم في البريـــــة فاحـــــددها علـــــى الفنـــــد

وخـــــيس الجـــــن أني قـــــد أذنـــــت لهـــــم يبنـــــون تـــــدمر في الصـــــفاح والعمـــــد

كما نسب الأعشى إلى سليمان بناء الحصن الأبلق بمدينة تيماء[115]:

ولا عـــــاديا لم يمنـــــع المـــــوت مالـــــه ورد بتيمـــــــــاء اليهـــــــودي أبلـــــــق

بنـــــاه ســـــليمان بـــــن داود حقبـــــة لـــــه أزج عـــــال وطـــــي موثـــــق

ولقد نسب إلى سليمان، الكثير من البنيان، في المصادر الإسلامية وسنشير لها عند الكلام عن دور الأثاريين المسلمين في تطوير فكر المدرسة الأثرية لاحقاً في هذا الجزء. كما كان العرب في الجاهلية ينسبون كل أثر قديم إلى عاد وقد أشرنا إلى قول الشاعر[116]:

وبالجبلـــــــــــين معقـــــــــــل صـــــــعدنا إليـــــــه بســـــــمر الصـــــــعاد

ملكنـــــــاه مـــــــن أوليـــــــات الزمـــــــان مـــــــن بعـــــــد نـــــــوح ومـــــــن قبـــــــل عـــــــاد

وخطورة التفسير بالأسطورة لا تقتصر على تغيير هوية أصحاب الأثر وتاريخ بنائه وإلغاء عملية الاستقصاء العلمي فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى أبعاد حضارية، فالادعاء بأن سليمان بنى تدمر وحصن الأبلق يتضمن ادعاءاً بأن اليهود في عهد سليمان كانوا قد سيطروا على أجزاء من سوريا وشمال الحجاز حيث مكاني مدينة تدمر وحصن الأبلق على الترتيب. وهذا الادعاء لا يحتاج إلى نفي، لأن النقوش والكتابات الأثرية[117] تشير إلى أن اليهود كانوا يجهلون أساليب البناء بدليل أن سليمان استعان بالملك حيرام الثاني ملك صور لبناء "معبد الرب"، وقد أمد الأخير الأول بفريق من البنائين والنجارين والحدادين وعلى رأسهم مهندس اسمه حيرام. ومما يدلل على جهل اليهود بأعمال البناء، أن الله سبحانه وتعالى سخر لسليمان الشياطين[118] والجن لاستخدامهم في عملية البناء كما في قوله تعالى[119]: **"وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ وَمِنَ الجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ"**.

ومن الآيات الكريمات نستدل أن الجن كانت مسخرة ومكلفة بأعمال محددة تنحصر في عمل المحاريب والتماثيل والجفان والقدور، وأنهم استمروا في هذه الأعمال حتى توفى الله تعالى سليمان، وقد تبينوا وفاته بعد سنة[120] من وفاته الحقيقية عندما تآكلت عصاه وسقط. ومعنى هذا أن الأعمال العمرانية التي قام بها الجن لسليمان لم تنجز بالكامل لأنها لو أنجزت بالكامل لما دعت الضرورة استمرارهم في العمل أثناء موت سليمان وهروبهم منه عندما علموا بموته، وهنا نتساءل كيف تسنى لسليمان بناء تدمر وحصن الأبلق إذا كان لم ينهى عمرانه داخل مملكته. ومما يدعونا أيضاً إلى الاعتقاد بعدم أهلية اليهود لأعمال البناء والعمران هو أن تسخير الجن لخدمة سليمان كانت إحدى معجزات سليمان. والمعجزة تعني عجز البشر- قوم النبي- عن القيام بالأعمال التي تتضمنها، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه.

وينبغي علينا أن نعي فيما ذهبنا إليه من شرح وتحليل أننا لسنا بصدد نفي حقيقة، هي أصلاً لا وجود لها، وإنما نحاول أن نؤكد أسطورة بنفي حقائق وجود عناصر الحدث الذي تنسب إليه الأسطورة، وكذلك لكي نثبت أن الأثاريين العرب استعملوا الأسطورة في تفسيرهم للآثار. كما ينبغي علينا أن نعي أن التفسير بواسطة الأسطورة استعمله شعراء البيئة العدنانية، وربما يكون مرد ذلك إلى افتقار البيئة العدنانية إلى الأعمال المعمارية الضخمة، فإذا استكملنا محاولة الأعشى:

يـــــوازي كبيـــــداء الســـــماء ودونـــــه بـــــلاط ودارات وكلـــــس وخنـــــدق

لـــــه درمـــــك في رأســـــه ومشـــــارب ومســـــك وريحـــــان وراح تصـــــفق

وحـــــور كأمثـــــال الـــــدمى، ومناصـــــف وقـــــدر، وطبـــــاخ، وصـــــاع، وديســـــق

لوجدنا أن التفسير بواسطة الأسطورة اقتصر على الجانب التوثيقي فقط ويشمل تحديد هوية صاحب الأثر وتحديد تاريخه، أما باقي العناصر كالمكان وهو مدينة تيماء وتحديد هوية الأثر فقد خلون من العنصر الأسطوري في عملية التفسير، بل أن الوصف الذي أورده الأعشى يتطابق مع هوية الأثر، فالحيطان القوية العالية والخندق من صفات الحصون والقلاع، كما أن باقي الوصف

الذي أورده الأعشى يؤكد حقيقتين: أولهما أن الحصن ما زال عامراً ومأهولاً وذلك لوجود الفتيات الحور الجميلات والمناصف (الخدم) والطباخ، والحقيقة الثانية هي أن الوصف على محدوديته اعتمد على النظر والملاحظة الدقيقة وهذه العناصر بعض من صفات التفسير العلمي الذي سنعرض له فيما يلي بشيء من الدراسة والتحليل.

2- التفسير العلمي

وهذا التفسير أعم وأوسع ويرتكز عند دراسته أو إعادة دراسته للأثر على ما توفر من معلومات تركها أصحاب الأثر، فالتفسير العلمي يبدأ عملية البحث والاستقصاء الأثري من المعلوم، في محاولة لسبر أغوار المجهول، وهذه العملية المعقدة اعتمدت على النقوش والكتابات ووجدت لها مصدراً في الحياة الأدبية والدينية والاجتماعية والتقانية لأصحاب الأثر، ونهجت أسلوب المقارنة والمعارضة والنقد والتحليل. ولقد ابتكر الأثاريون العرب هذا النهج في تفسيرهم للآثار، وذلك من خلال عملية استقصاء علمي واضحة المعالم ابتدأت بالتحقق من: هوية أصحاب الأثر، فهوية الأثر، فالمكان الذي يقع فيه الأثر، فمواد البناء فالمؤثرات البيئية وانتهت بالخبر أو تفسير الأثر. ولقد اختلف التفسير باختلاف البيئة والدوافع وراء عملية التفسير. فبينما نجد الأثاريين العرب قد أشركوا الحياة الاجتماعية في عملية التفسير (من خلال الانتماء القومي والإقليمي كما هو الحال عند شعراء البيئة اليمنية، أو من خلال العلاقات العاطفية والنفسية والاقتصادية بالإضافة إلى الانتماء القبلي والقومي عند شعراء البيئة العدنانية)، نجدهم لم يشركوا الحياة الدينية بنفس الكيفية التي أشركوا فيها الحياة الاجتماعية، كما أنهم لم يشركوا النقوش والكتابات بالرغم من توفرها على آثار الجزيرة العربية، وسنحاول فيما يلي من دراسة وتحليل أن نوضح الأسباب التي أدت إلى محدودية استعمال اللغة والدين في عملية التفسير.

اللغة

الوظيفة الرئيسية للغة هي عملية التوثيق الأثري، فإذا كانت اللغة مدونة ومنقوشة على الأثر تصبح أحد عناصر الاستقصاء الأثري، ومن ثم أحد عناصر التفسير الأثري، لأن الأخير لا يتم إلا بواسطة اللغة، وبعد انتهاء عملية التفسير تصبح العملية عملية توثيقية مرة أخرى. هذا التداخل في وظيفة اللغة يعود إلى سببين: أحدهما، اختلاف لغة التوثيق عن لغة التفسير، ففي هذه الحالة تدخل اللغة الأولى ضمن نطاق الاستقصاء الأثري وتدخل الثانية ضمن عملية التفسير الأثري، وثانيهما أن تكون لغة التوثيق والتفسير الأثري واحدة، فنحتاج لمعرفة المدونات والنقوش الأولى عن الأثر في عملية التفسير إذا كنا بصدد دراسة أو إعادة دراسة الأثر، وفي كلا الحالتين تكون لغة التفسير هي نفسها لغة التوثيق.

ولقد اقتصر التفسير العلمي للمدرسة الأثرية العربية على الحالة الثانية، أي على الآثار العربية واستعمال اللغة العربية بقلميها: المسند الحميري والعدناني، وسبق وبينا أنه لم يكن للنقوش والكتابات دور صريح في عملية الاستقصاء الأثري، كما سبق وبينا أن جميع الأقلام اليمنية هي أصلاً قلم واحد وهو المسند الحميري، وقد ذهب الأستاذ الألوسي[121] إلى أن جميع اللغات (الأقلام) العربية من يمنية وعدنانية ذات أصل حميري ويدلل على رأيه بشعر لرجل- كندي من دومة الجندل يمن فيه على قريش بأنهم تعلموا خط الجزم من المسند الحميري[122]:

وتجحدوا نعماء بشر عليكم ... فقد كان ميمون النقيبة أزهرا

أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم ... من المال ما قد كان شتى مبعثرا

وألفيتم ما كان بالمال مهملا ... وطامنتم ما كان منه مبقرا

فأجريتم الأقلام عودا وبدأة ... وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا

وأغنيتم عن مسند الحي حميرا ... وما زبرت في الصحف أقلام حميرا

ويقول الألوسي أن تسمية الجزم ترجع إلى أن الخط الكوفي كان يسمى بخط الجزم قبل إنشاء مدينة الكوفة، وذلك لأنه جزم أو اقتطع وولد من المسند الحميري[123] والواقع أننا نميل إلى هذا الرأي وذلك لعدة أسباب نذكر منها: أن الشعر الجاهلي لم يشر إلى وجود أي خلاف جذري في معنى أو في الدلالات البيئية للغة المستعملة في اليمن عن لغة الشعر (العربية الفصحى)، بينما نجد الشعر الجاهلي يشير إلى الخلافات اللغوية بين اللغة العربية واللغات الأخرى كالفارسية مثلاً، فنجد النابغة[124] يصف الدار بالاستعجام لعجزه عن التعرف عليها، كما نجد عنترة[125] يصف عدم الإفصاح "بالعجمه الطمطمية". ومن هذه الأسباب أيضاً تشابه المعنى في كثير من الكلمات والألفاظ في اللغتين العربية الفصحى والجنوبية (الأقلام اليمنية) فقد أورد الأستاذ محمد عزة دروزة في كتابه، تاريخ الجنس العربي (ج3/ 10-12) الكثير من الكلمات العربية الفصيحة ومثيلاتها في اللغات العربية الجنوبية نذكر منها الكلمات الخاصة بالأسرة كالأب والأم والولد والابن والأخ والأخت، ونذكر أيضاً الكلمات الخاصة بالكون والبيئة: كالأرض والسماء والماء والشمس والقمر والليل واليوم والأمة والإنسان والنفس واللسان والرأس واليد...، كما ذكر الدكتور جواد علي في كتابه، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج8/ 10-24)، الكثير من الكلمات الخاصة بالبناء والمتماثلة في كلا اللغتين نذكر منها: بناء ومبنى، وقلعة وحفر، وعلى وعليه، وصود، وسقف، والخلف (الباب)، والرتاج والمصرع والمصراع واللبن...، وغيرها من الكلمات التي ربما يشوبها بعض الخلافات اللفظية. وسبب آخر هو أن كثيراً من الشعراء اليمنيين الأصل قالوا شعراً بالعربية الفصحى كامرئ القيس وعبد يغوث والمتلمس وطرفة وكثير غيرهم، كما أن عبد المطلب جد النبي عليه الصلاة والسلام قال خطبته في بلاط الملك اليمني معد يكرب باللغة العربية، وقد أشرنا إلى هذه الخطبة في القسم الأول من هذه الدراسة (التفسير التاريخي) كما أشرنا فيها إلى التاجر الزبيدي اليمني الذي قال شعراً بالعربية الفصحى في مكة، أسفر عن تأسيس حلف الفضول. ونخلص من ذلك إلى أن الاختلاف بين اللغتين العربية الشمالية والجنوبية ربما كان مقصوراً على شكل الحروف وشكل الكتابة وربما النطق، أما المعنى ففي الأعم الأغلب كان واحداً ومتجانساً في اللغتين واستناداً إلى كل ما سبق نميل إلى الاعتقاد بوحدة[126] اللغتين، بالرغم من خلو آثار بعض المراكز الحضارية في البيئة العدنانية من النقوش والكتابات لأن الكتابة كانت معروفة في البيئة العدنانية كما هو الحال في البيئة اليمنية. فالأخيرة اتخذت من جدران وحيطان العمران مجالاً لها، فهي ماثلة في آثار اليمن، أما الأولى فلم نجد لها وجوداً على حيطان وجدران آثار عمرانها في جنوب الحجاز ونجد، بينما نجد كثيراً من النقوش في شمال الحجاز وسوريا وفلسطين، والتي صنفت على أنها نقوش "نبطية" وليست عربية، ولكننا لم نعدم بعض المحاولات في مكة، سنعرض لها بعد أن نوضح كيفية انتشار الكتابة في البيئة العدنانية وارتباطها في الدراسات الأثرية، فقد ورد في شعر المرقش الأكبر ذكراً للكتابة المنمقة المكتوبة على الجلد بواسطة القلم[127]:

الدار قفر والرسوم كما ... رقش في ظهر الأديم قلم

كما ورد ذكر الكتابة المنمقة في شعر سلامة بن جندل[128]:

لمن طلل مثل الكتاب المنمق ... خلا عهده بين الصليب فمطرق

وورد ذكر الكتابة المنمقة أيضاً في شعر طرفة[129]:

كسطور الرق رقشه ... بالضحى مرقش يشمه

وورد في شعر أمية بن أبي الصلت ذكر الخط وأدوات الكتابة كالقلم[130]:

قومي لهم ساحة العراق إذا ... ساروا جميعاً والخط والقلم

كما ورد في شعر الحارث بن حلزة ذكر الكتابة ونوع الورق الذي يكتب عليه كالمهارق وهي الصحائف الحريرية البيضاء المقواة بالصمغ[131]:

لمن الديار عفون بالحبس ... آياتها كمهارق الفرس

كما ذكر الحارث أن حلف ذي المجاز كان مكتوبا في مهارق[132]:

واذكروا حلف ذي المجاز وما ... قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الخون والتعدي وهل ... نقض ما في المهارق الأهواء

كما بين لنا ابن أبي خاذم وهو شاعر جاهلي قديم ما يفيد وجود كتب مؤلفه في العصر الجاهلي[133]:

وجـــــدنا في كتـــــاب بـــــني تمـــــيم أحـــــق الخيـــــل بالـــــركض المعـــــار

وورد ذكر الخط والكتب (الزبر) في شعر المرار بن المنقد[134]:

وتـــــرى فيهـــــا رســـــوم قـــــد عفـــــت مثـــــل خـــــط الـــــلام في وحـــــي الزبـــــر

وورد ذكر التنميق في الكتابة على أيدي كتاب متخصصين في شعر الأخنس بن شهاب التغلبي:

لابنـــــة حطـــــان بـــــن عـــــوف منـــــازل كمـــــا رقـــــش العنـــــوان في الـــــرق كاتـــــب

وورد في شعر لبيد بن أبي ربيعة ما يفيد أن الكتابة على الحجر كانت شائعة في البيئة العدنانية[135]:

فمـــــدافع الـــــريان عـــــرى رسمهـــــا خلقـــــا كمـــــا ضـــــمن الـــــوحي ســـــلامها

وجـــــلا الســـــيول عـــــن الطلـــــول كأنهـــــا زبـــــر تجـــــد متونهـــــا أقلامهـــــا

كما ورد أيضاً في شعر زهير ما يفيد أن الكتابة على الحجر كانت شائعة في البيئة العدنانية[136]:

لمـــــن الـــــديار غشـــــيتها بالفدفـــــد كـــــالوحي في حجـــــر المســـــيل المخلـــــد

هذه الأمثلة توضح أن الكتابة كانت معروفة ومنتشرة[137] في الجاهلية، كما توحي التعابير التي استعملها الشعراء أن الكتابة كانت على مستوى رفيع من الإتقان والجمال، واللافت للنظر أن هذه المحاولات لم تقتصر على تعريفنا بأن الكتابة كانت منتشرة في الجاهلية فحسب، ولكنها أكدت وجود علاقة بين الآثار والكتابة. فمحاولة الأخنس توحي بأن العلاقة بين المنازل والكتابة أكبر من استعارة بلاغية أو تشبيه لغوي، ولكنها تؤكد وجود تفسير شكلي جمالي للأثر، مرتبط بتفسير شكلي جمالي للكتابة.

فالكتابة إذن أخذت دوراً ثانوياً في التفسير الأثري، يتمثل في شكل الكتابة وليس في مضمونها، وهذه الظاهرة تكررت في محاولات كل من: المرقش الأكبر، سلامة بن جندل، الحارث بن حلزة اليشكري والمرار بن المنقذ، ولكن الأمر، اختلف عند لبيد وزهير، فاحتاج إلى مزيد من التفكر والتأمل، ومرد ذلك إلى أن الشاعرين تجاوزا استعمال الكتابة من خلال الشكل إلى محاولة استعمال المضمون، فربطا بين مادة البناء السلام (الحجر) والوحي (الكتابة)، بالإضافة إلى ربطهما بين آثار الديار والكتابة المنقوشة على الحجر. والأمر الجدير بالملاحظة هنا هو اختيار الحجارة، فهل كان اختيارها مجرد مصادفة أم أن الكتابة المنقوشة على الحجارة تخص آثار الديار، فتكون بذلك عملاً مقصوداً، هذا السؤال يضعنا أمام احتمالين لا نملك إثبات أو نفي أي منهما، فإذا كان اختيار الحجارة كمادة للكتابة مجرد مصادفة، فإن محاولتي لبيد وزهير لا تخرجا عن حدود المحاولات السابقة، أما إذا كانت الحجارة المنقوشة تخص آثار الديار، بالرغم من عدم معرفتنا بما تحويه من كتابة فبإمكاننا الادعاء أن التفسير العلمي للآثار قد اعتمد على النقوش والكتابات في دراسته لآثار البيئة العدنانية. ولكن وفي جميع الأحوال تبقى حقيقة واحدة نملك إقرارها وهي أن ما ذكره كل من لبيد وزهير يؤكد وجود مدونات حجرية في البيئة العدنانية سواء كانت هذه النقوش مكتوبة بالعربية الفصحى- لغة الشعر الجاهلي- أم بأي قلم آخر.

ومما يعزز هذه الحقيقة ما ذكره ابن النديم في الفهرست (ص: 7- 8): من أن قريش عندما هدمت الكعبة وجدوا في ركن من أركانها حجراً مكتوباً فيه: "السلف بن عبقر يقرأ على ربه السلام من رأس ثلاثة آلاف سنة"، وهو مكتوب بخط "الجزم"، كما ذكر ابن النديم: أن خزانة الخليفة المأمون كانت تحوي كتاباً بخط عبد المطلب بن هاشم جد النبي عليه الصلاة والسلام، يذكر فيه دينا له على رجل حميري قيمته ألف درهم فضة. وأضاف ابن النديم، أن هذا الكتاب كتب بخط يشبه خط النساء، ولم يوضح ما هو خط النساء كما ذكر ابن النديم: وجود شاهد قبر بمكة يحمل اسم أسيد بن أبي العيص، وهو أحد كتاب العرب.

فإذا أخذنا بروايات ابن النديم نجد أن الاحتمال الثاني أقرب إلى الواقع. ولكن رغم سعة اطلاع ابن النديم وموسوعيته، إلا أننا لا نستطيع الأخذ بكل هذه الروايات وذلك لانفراد ابن النديم بذكرها، ولعدم ذكره للمصادر التي استقى منها هذه المعلومات.

ومما يعزز هذه الحقيقة أيضاً النقوش والكتابات الأثرية التي عثر عليها في بلاد الشام وشمال الحجاز، نذكر منها حجر النمارة (شكل- 1)، ونقش حران (شكل-2)، وهما نقشان بالقلم النبطي (العربي)، إذ يرجع تاريخ الأول إلى القرن الرابع الميلادي، في حين يرجع تاريخ الثاني إلى القرن السادس الميلادي. والأخير نقش معماري يؤرخ لبناء كنيسة (ذا المرطول بحران اللجا) وهذا النقش يسهم في عملية التفسير العلمي للآثار، ولكن تصنيفه كنقش نبطي أعاق توظيف هذا النقش في عملية التفسير العلمي، ومع أننا لا نعير هذا التصنيف اهتماماً- لكون هذا النقش مقروءا بالعربية التي نستعملها اليوم كما يظهر في شكل الحروف وفي شكل الكلمات وفي طريقة الكتابة المائلة وفي الأسماء العربية المذكورة في النقش وحتى في البناء اللغوي للنقش، أضف إلى ذلك أن الانباط عرب[138]، إلا أننا نميل إلى تصنيف هذا النقش وغيره من النقوش النبطية التي وجدت في مدائن صالح.

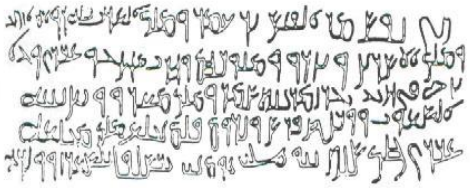

حجر النماره

الخط العربي في القرن الرابع الميلادي

هذا النقش وجد على حجر قبر امرئ القيس بن عمرو أحد ملوك اللخميين في الحيرة، وعثر عليه في خرائب النمارة، بمنطقة حوران، ويعود تاريخه إلى سنة 324م.

قراءة النقش

1- تي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج.

2- وملك الأسدين ونزور وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجاء.

3- يزجو في حبج نجران مدينة شمر وملك معدو وأنزل بنيه.

4- الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه.

5- عكدي هلك سنة 223 يوم 7 بكسول بلسعد ذو ولده.

النص والترجمة منقولان من الجزء الخامس من كتاب، تاريخ الجنس العربي، للأستاذ محمد عزة دروزة، (ص: 404) ومن الجزء الأول من كتاب، تاريخ الآداب العربية، للأستاذ مصطفى الرافعي، (ص: 85).

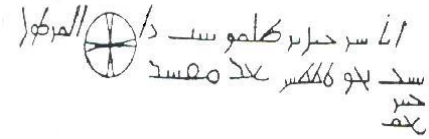

نقش حران

الخط العربي في أواخر القرن السادس الميلادي

قراءة النقش

"أنا شرحبيل بن ظلموا بنيت ذا المرطول سنت 463 بعد مفسد خيبر بعام"

ولقد صاحب هذا النقش نص يوناني جاء فيه: "أسس شرحبيل بن ظالم سيد القبيلة مرطول مار يوحنا في سنة 463 من الاندقطية الأولى" والجملة الأخيرة تعبير زمني عند الرومان، ويخمن كتابته سنة 568م".

النص والترجمات منقولة من الجزء الثامن من كتاب، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي، (ص: 177) ومن الجزء الخامس من كتاب تاريخ الجنس العربي، للأستاذ محمد عزة دروزة، (ص: 39).

كامتداد لنهاية فترة التوثيق بالأقلام العربية التي سادت قبل نشأة الشعر الجاهلي، كالمسند الحميري والجزم، وذلك لأن الشعراء العرب لم يستعملوا هذه المدونات والنقوش. وربما يعود ذلك أما إلى عدم اهتمامهم بها أو لجهل معظمهم القراءة كما أسلفنا، ولكننا نرجح الاحتمال الأول، وذلك لأن بعض الشعراء كانوا يجيدون القراءة والكتابة[139]. ومما يدلل على ذلك المراسلات التي كانت معروفة في الجاهلية كصحيفة المتلمس[140] وصحيفة لقيط[141] وصحيفة المقاطعة[142] (صحيفة قريش)، كما كتب أحد الشعراء على باب دار الندوة[143] شعراً. فكما نرى أن المحاولتين الأخيرتين تجاوزتا حدود التعريف بانتشار الكتابة إلى الارتباط بمبان ذات قيمة معمارية وأثرية، ولكن دون الإسهام في عملية التفسير العلمي وتبقى أمامنا محاولة أخيرة، فريدة، ومميزة وهي كتابة المعلقات وتعليقها على جدران الكعبة[144]، وما تتميز به هذه المحاولة– إذا صح حدوثها– هو أن أحد المعلقات، وهي معلقة زهير، حددت نوع ووظيفة البناء كما حددت هوية بناة المبنى الذي علقت عليه:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم

فتعرفنا على نوع ووظيفية البناء الدينية من خلال عملية الطواف، لأن الطواف لا يتم إلا في الكعبة، كما حدد زهير قبيلتي قريش وجرهم كبناة للكعبة الشريفة، وبذلك تكون الكتابة قد استعملت في عملية التفسير العلمي للآثار، ولكننا لا نستطيع التعويل على هذه المحاولة، وذلك لانعدام السند التاريخي من ناحية ولعدم توفر الفكرة من ناحية ثانية. فالسند التاريخي لا يتم إلا بثبوت الخبر أو بترجيح ثبوته وهذا لم يتأت لنا، والفكرة لا يؤخذ بها ولا يعول عليها إلا إذا كانت مقصورة على الهدف الذي كرست له، وهذا أيضاً لم يتوفر لنا، وذلك لأن الغرض من قول القصيدة لم يكن تعليقها على الكعبة، كما أن فكرة تحديد هوية بناة الكعبة لم تكن مقصودة لذاتها[145]، وإنما جاءت في سياق القصيدة. أضف إلى ذلك أن الكعبة ليست أثراً وإنما هي صرح معماري قائم إلى الآن، ويؤدي وظيفته بكفاءة تامة، ولم ينفصل عنه العامل البشري إطلاقاً، ابتداءاً من بناء إبراهيم وإسماعيل[146] لها حتى يومنا الحاضر. والكعبة هي الصرح المعماري الوحيد في العالم الذي يستعمل أربعاً وعشرين ساعة في اليوم على مدار الزمن. إذن ولكل هذه الأسباب نستطيع القول أن الكتابة لم تلعب دوراً في عملية التفسير العلمي للآثار شأنها شأن الدين، الذي سنعرض له فيما يلي بشيء من الدراسة والتحليل.

الدين

لقد ترك الشعر الجاهلي معلومات لا بأس بها عن الحياة الدينية[147] في العصر الجاهلي، فتعرفنا على الديانات التي كانت سائدة في البيئتين اليمنية والعدنانية: من وثنية وحنيفية[148] ومسيحية. وكانت الوثنية أقدم هذه الديانات وأكثرها انتشاراً في جميع أنحاء الجزيرة العربية. واكتسبت الوثنية شكلها ووجودها الفعلي في البيئة العدنانية بعد انحسار الحنيفية، وذلك بعد إدخال الأصنام إلى مكة على يد عمرو بن لحى الخزاعي[149]. والديانة الوثنية ربما تسهم في دراسة الآثار المتنقلة، لأن العنصر الرئيسي فيها هو التماثيل على اختلاف مادة صنعها، ولكن الوثنية لم تسهم في دراسة الآثار المعمارية ولا في التفسير العلمي للآثار بشكل فعال، وذلك لعدم ارتباط هذه الأصنام بمبان ثابتة، هذا مع وجود بعض الاستثناءات نذكر منها: الكعبة المشرفة بمكة، وكعبة نجران، وبيت ريام[150]، وبيت العزى (الغبغب)[151]، وكعبة ذي الخلصة[152]، (الكعبة اليمانية) وكعبة اياد[153] (سنداد). أما الكعبة المشرفة فقد ارتبط بها الصنم هبل[154] وكان موضوعا في جوفها، وسبق أن ذكرنا أن الكعبة المشرفة لا يمكن دراستها من وجهة نظر أثرية، وذلك لاستمرارها في أداء وظيفتها، أما باقي الكعبات فهي عبارة عن بيوت مربعة المسقط مكعبة الشكل، كانت تحوي أصناماً، ولا يوجد خلاف بين الرواة [155] على شكل هذه البيوت، الأمر الذي يدعونا إلى الاعتقاد بأن التكعيب كان مذهباً فنياً ومعمارياً متبعاً في الجاهلية، وهذا يسهم في عملية التفسير العلمي للآثار، وربما تكون الكعبة المشرفة مثالاً حياً على مثل هذا النوع من مباني العبادة، ألا أن اختلاف مواد البناء التي استعملت في بناء باقي الكعبات ربما يعوق عملية دراسة التفاصيل المعمارية والإنشائية لهذا النوع من المباني، وذلك لصعوبة القياس من ناحية وللتطورات التي حدثت في بناء الكعبة المشرفة على مر العصور من ناحية أخرى، أضف إلى ذلك انعدام الوصف التحليلي لهذه الكعبات في الشعر الجاهلي، الأمر الذي زاد من صعوبة دراستها والتعرف على تقانة بنائها. إلا أننا أمام حالة فريدة من نوعها وهي كعبة نجران، التي سبق وأن أشرنا إليها في شعر الأعشى. فقد بين ابن الكلبي في كتابه، الأصنام، (ص–45): أنها لم تكن كعبة عبادة بل غرفة لبني الحارث بن كعب، وقد ذهب، جواد علي في كتابه، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج9/ 417): إلى أن كعبة نجران عبارة عن بيعة للنصارى بنيت من الجلد[156]، بناها بنو عبد المدان بن الريان الحارثي، رؤساء نصارى نجران، مضاهاة للكعبة المشرفة بمكة المكرمة، ولقد بنى رايه على الأخبار التي وردت عن هذه الكعبة، وعلى أسماء أصحابها المسيحية وعلى كون نجران مركز المسيحية في اليمن. ونحن نميل إلى رأي الدكتور جواد علي، ونخلص من ذلك إلى أن العمارة الدينية المسيحية الأولى في البيئة اليمنية، قد وقعت تحت تأثير العمارة الدينية المحلية للبيئة العدنانية العربية. فالمسيحية إذن تبنت الاتجاه التكعيبي المعماري في مبانيها الدينية، وبنفس الشكل الذي أفرزته الحنيفية (الإسلامية) وكما تبنته الوثنية العربية في مبانيها الدينية المتمثلة في الكعبة المشرفة وفي باقي الكعبات التي أسلفنا ذكرها.

والحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكانت ديانة العرب قبل أن يتحولون إلى عبادة الأصنام. والحنيفية أول دين سماوي أقام مبنى للعبادة وهو الكعبة المشرفة التي ما تزال ماثلة إلى يومنا هذا، وقد تعاقبت عليها الوثنية والإسلام، ولم يصل إلى علمنا أن الحنيفية ارتبطت بأي مبنى ديني آخر غير الكعبة. فالحنيفية إذن لم تسهم في عملية التفسير العلمي للآثار وإنما أرست لنا اتجاهاً معمارياً وفنيا، وهو الاتجاه التكعيبي، وقد طغى هذا الاتجاه على جميع المباني الدينية الوثنية، والمسيحية في بلاد اليمن، أما اليهودية فلم يرد لمبانيها الدينية ذكر في الشعر الجاهلي، وربما يكون مرد ذلك إلى حداثة عهدها في الحجاز واليمن، وإلى عزلة اليهود المعهودة فيهم وإلى استعمالهم نفس المباني التي كان يستعملها سكان المدينة المنورة والمعروفة بالآطام (الحصون)، فلم يجد الشعراء الجاهليون في هذه الاطام أو في البيئة اليهودية أي غريب غير مألوف يسترعي انتباههم.

والمسيحية لم تكن أفضل وضعاً من اليهودية، إذ لم يرد لمبانيها الدينية ذكر مباشر في الشعر الجاهلي، باستثناء ما سبق ذكره عن كعبة نجران، وما ورد ذكره عن بعض العناصر التي توحي بوجود مبان للديانة المسيحية، كمنارة الراهب التي أشرنا إليها سابقاً في شعر امرئ القيس، والناقوس[157] الذي ورد ذكره في شعر المتلمس[158]، والمرقش الأكبر[159]، والأعشى[160]، والأسود يعفر[161]. والمسيحية نشأت في بلاد الشام وتركزت في المناطق البعيدة عن العمران الحضري والريفي، وذلك لأنها كانت مضطهدة من الرومان. ولم يعرف للمسيحية مبان دينية ذات قيمة تذكر، قبل القرن الرابع الميلادي[162]، وربما كانت مبانيها الدينية في بادئ الأمر هي بيوت إقامة الرهبان الذين هربوا من الاضطهاد الروماني إلى المناطق المعزولة والنائية طلباً للسلامة.

هذه العزلة السياسية، أدت بدورها إلى عزلة بيئية: اجتماعية وعمرانية فالاتباع بحاجة إلى التوجيه والإرشاد وتعلم طقوس الدين وممارسته؟ وإلى بيئة حضرية تفرض أو تمارس نوعاً من التقارب البيئي العمراني فتشجع على استحداث مبان خاصة للعبادة. أضف إلى ذلك أن طبيعة الدين المسيحي، كما وردت في وصايا[163] المسيح عليه السلام لا تتطلب مبان خاصة للعبادة، وأكثر من ذلك أن الطبيعة التقشفية[164]، للمسيحية لم تساعد على استحداث مثل هذه المباني: وأكثر من ذلك أيضاً، أن المسيحية دين عاطفي- يهدف إلى سعادة الإنسان، بتخليص الجسد وتطهير الروح من الاثام- لا تحوي فكرا[165] قادراً على إفراز ظواهر حضارية: كالفن والعمارة. وربما لهذه الأسباب جميعاً تبنت المسيحية الاتجاه التكعيبي في البيئة اليمنية، فقد توفر لها الحرية السياسية والتقارب البيئي والعمراني فكان لرعاتها حرية الاختيار بين التكعيبية العدنانية وعمارة المعابد و"المساجد"[166] في البيئة اليمنية، فاختاروا ببساطة التكعيب ربما لتناسبها مع الطبيعة التقشفية للدين المسيحي، ولكن حرية الاختيار انعدمت عند اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالمسيحية، فكان الاعتراف السياسي مصحوباً بفرض عمارة خارجية ودخيلة على البيئة العربية في بلاد الشام وعلى الديانة المسيحية، وهي البازيليكا[167] الرومانية (البيزنطية)، الأمر الذي أدى إلى خلق انفصام بيئي ديني ومعماري، وربما يكون هذا الانفصام أحد الأسباب التي أدت إلى عزوف الشعر الجاهلي عن توثيق مباني العبادة المسيحية، واكتفى بالتلميح ببعض أجزائها. أضف إلى ذلك تزامن الشعر الجاهلي ونشأة مباني العبادة المسيحية، فلم يكن للأخيرة جذور بيئية كما لم يكن للشعراء خبرة سابقة بهذا النوع من المباني سواء على المستوى الشخصي أو على المستوى البيئي (القومي). ونخلص من ذلك إلى أن الدين المسيحي لم يسهم في عملية التفسير العلمي للآثار في العصر الجاهلي، ولكنه أسهم فيما بعد، فقد أفرد بعض الآثاريين المسلمين، كتبا خاصة عن الديارات المسيحية في ديار الإسلام، سنعرض لها بالتفصيل في الجزء الأخير من هذه الدراسة.

نخلص مما تقدم عرضه أن الدين لم يسهم في التفسير العلمي، بشكل إيجابي، باستثناء الحنيفية، التي أرست لنا مفاهيم الاتجاه التكعيبي في الفن والعمارة وما عدا ذلك كان تلميحاً لا يثري عملية التفسير. فالكتابة والدين إذن لم يسهما في عملية التفسير العلمي للآثار في العصر الجاهلي. ويبدو أن الإسهام الفعلي في التفسير العلمي للآثار، اعتمد على تقانة البناء، التي أسهب الشعر الجاهلي في تسجيلها، كالمحاولات التي عرضناها للافوه الاودي، والخاصة بتقانة بناء البيوت، وكذلك محاولات طرفة ولبيد الخاصة ببناء القبور، كما تعرفنا على عناصر ومواد البناء المختلفة، ووظيفة كل عنصر من هذه العناصر، نذكر منها: النؤي، والأوراي، والأوتاد، والأعمدة.. وما يمنعنا من حصر هذه العناصر وتحليلها وإبراز دور التقانة بالتفصيل في عملية التفسير العلمي، هو أن الأثاريين المسلمين قاموا بحصر جميع عناصر هذه التقانة وأفردوا له كتبا خاصة سنعرض لها لاحقاً في الجزء الأخير من هذه الدراسة، إبرازا لأدوارهم وتقديراً لجهودهم، واعترافاً بفضلهم وبيانا لموقع الفكر الأثري ومكانته عند العرب المسلمين.

أما المقارنات الأثرية فقد كان لها دور في عملية التفسير العلمي، ظهر واتضح في محاولات أسعد تبع وعلقمة بن ذي جذن، فكلاهما أبرز هذا العامل من خلال منظور إقليمي قومي، وبطريقة يغلب عليها طابع الفخر وليس الطابع التحليلي العلمي، ولكن هذه المحاولات لم تخل من إبراز خصائص القرين، آثار البيئة اليمنية- ولكنها أغفلت خصائص المقارن، وربما يعود هذا الإغفال لعدم ذكر المقارن أصلاً. وبالرغم من ذلك فإنه يمكن توظيف هذه المحاولات في عملية التفسير العلمي للآثار.

بناءً على ما تقدم يكون التفسير العلمي قد وظف جميع عناصر أسلوب المدرسة الأثرية، بما فيها اللغة والدين وتقانة البناء، معتمداً في ذلك على الملاحظة الدقيقة، ومتبنيا تقانة الوصف التحليلي، ومتخذاً من الشعر وسيلة في عملية التوثيق الأثري. ومع كل ذلك، لا نرى في الشعر الجاهلي، محاولة تفسير علمي شاملة وظفت أو حاولت توظيف العناصر التي عرضنا لها، ولكننا نرى في تجميع المحاولات الجزئية التي عرضنا لبعض منها، تحقيقاً لشمولية التفسير العلمي للآثار، وهنا ينبغي علينا أن نعي، أن عدم وجود محاولة شاملة للتفسير العلمي، لا تعني قصوراً في فكر المدرسة الأثرية العربية في العصر الجاهلي، وإنما قصوراً في التطبيق، له أسبابه وظروفه التي أوضحناها على مدار هذه الدراسة. وأخيراً فإننا نخلص بعد كل ما تقدم من شرح وتحليل، إلى أن المحاولات الأثرية التي أفرزها الشعر الجاهلي، قد أرست قواعد وأسس فكر المدرسة الأثرية العربية، التي ارتقى بها القرآن الكريم، وربطها بفلسفة التاريخ الإسلامي، وعمل على إعادة تشكيل هذه المدرسة وصقل مفاهيمها وفكرها وهو الموضوع التالي في دراستنا.

الهوامش

1- هذا التعريف ورد في مجموعة من الكتب العربية سنعرض لها بالتفصيل في الجزء الأخير من هذه الدراسة ونكتفي هنا بذكر بعض منها.

أ. الجاحظ، الحيوان، (ج1/42- 48، 68- 73).

ب. البيروني، الآثار الباقية من القرون الخالية، (ص-4).

ج. أسامة بن منقد، المنازل والديار، (ج1/1-4).

د. الزبيدي، تاج العروس، (ج10/10- 42).

هـ. عبد اللطيف البغدادي، الإفادة والاعتبار، (ص: 17- 76).

2- انظر: الجاحظ، الحيوان، (ج1/ 68- 75).

3- عرض المؤلف بالتفصيل للبداية الزمنية للجنس العربي ومراحله الحضارية في القسم الأول من هذه الدراسة، والخاص بالتفسير التاريخي للظاهرة المعمارية، وسيشار إلى هذا القسم فيما بعد بالتفسير التاريخي، وقد قدم هذا القسم كبحث في ندوة الحضارة الإسلامية التي أقيمت في الكويت بتاريخ 17-20/ 12/ 1984، برعاية منظمة اليونسكو. وستطبع جميع الأبحاث التي قدمت في الندوة بكتاب خاص لم يصدر بعد.

انظر: محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، (ج5/10- 58).

4- الدكتور الأنصاري هو رئيس قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود بالرياض، ويرأس مشروع التنقيب عن الآثار في المملكة العربية السعودية ومن منجزاته التي وصلت إلينا:

أ- د. الأنصاري، قرية الفاو، جامعة الرياض، (1375- 1402هـ).

ب- د. الأنصاري وآخرون، مواقع أثرية مصورة من حضارة العرب في المملكة السعودية، العلا (ريدان)، الحجر (مدائن صالح)، جامعة الملك سعود 1984.

5- انظر: المؤلف، التفسير التاريخي.

: محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، (ج5/ 10 -58).

6- أن كثرة تسميات اللغات لا تعني بالضرورة أنها لغات مستقلة، فقد ذكر الدكتور جواد علي في كتابه، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 8/230- 241، أن الكتابات اللحيانية والثمودية لا تعني لغات خاصة بهذه الأقوام بالرغم من وجود تباين في كتابة بعض حروف هذه "اللغات"، ويرجع هذا التباين إلى نوعية القلم المستعمل في الكتابة ولكنها جميعاً في رأيه مشتقة من القلم المسند، كما ذكر أن الكتابات الصفوية أطلقت على الخطوط التي وجدت بمنطقة الصفا القريبة من حوران بجنوب سوريا فهي منسوبة إلى المكان وليس إلى لغة مستقلة، ويشاركه في هذا الرأي الدكتور شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج1/ 33)، فيرجع جميع الكتابات "اللحيانية، الدادانية، الصفوية، الثمودية، المعينية، والسبئية"، إلى الخط المسند أو القلم المعيني الجنوبي، وفي رأيه أن جميع هذه الكتابات (اللغات) عربية لأن خصائصها اللغوية قريبة من خصائص اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، كما يرجع شوقي ضيف، تطور القلم العربي إلى القلم النبطي الذي اشتق من القلم الأرامي المشتق أصلاً من القلم الفينيقي، ويعزي تغلب القلم العربي المتطور عن القلم النبطي على القلم المعيني الجنوبي (بالرغم من كونهما متشابهان في خصائص اللغة) إلى تخلي عرب الحجاز عن القلم المعيني وتبنيهم القلم العربي. وهناك رأي آخر تبناه الأستاذ محمود شكري الألوسي في كتابه، بلوغ الأرب، (ج 3/ 367- 374)، يقول بتطور القلم العربي عن المسند الحميري، وسمي بالبداية بخط الجزم قبل أن يسمى بالكوفي وذلك لأنه اقتطع من المسند الحميري ذو "الحروف المتصلة".

7- المراحل الأولى للقلم العربي ظهرت في بعض النقوش التي وجدت في منطقة حران بسوريا.

انظر: محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، (ج 5/ 39- 404)
: مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، (ج 1/ 85).
: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج1/ 35).
8- انظر: المؤلف، التفسير التاريخي.
9- انظر: انظر الزبيدي، تاج العروس، (ج 12/10).
10- المصدر السابق، (ج 22/10).
11- المصدر السابق، (ج 22/10).
12- أسعد تبع أحد ملوك الدولة الحميرية الثانية الممتدة بين (300- 525م)، وحكم من (340- 378م).
انظر: الهمداني، الأكليل، (ج 16/8).
13- انظر: السياغي، معالم الآثار اليمنية، (ص- 8).
: الهمداني، الاكليل، (ج 16/8).
14- انظر: أسامة بن منقد، المنازل والديار، (ج1/ 6).
15- انظر: سورة غافر، الآية: 21.
16- انظر: سورة الفتح، الآية: 29.
: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج3/ 228).
17- هذا التقسيم ورد أيضاً في مجلة الآثار السعودية، إطلال، العدد الأول، (ص-5) سنة 1977.
18- تناول المؤلف التواصل التاريخي والحضاري والاجتماعي بإسهاب في التفسير التاريخي.
19- انظر: ابن رشيق، العمدة، (ج 27/1).
: ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، (ص- 17)
20- انظر: الهمداني، الاكليل، (ج 225/8).
: السياغي، معالم الآثار اليمنية، (ص: 7، 8).
21- انظر الهمداني، الاكليل، (ج 29/8).
22- المصدر السابق، (ج 54/8).
23- المصدر السابق، (ج 55/8).
24- المصدر السابق، (ج 56/8).
25- المصدر السابق، (ج 64/8).
26- المصدر السابق، (ج 79/8).
27- انظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، (ص: 8/4).
: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج 232/1- 265).
: د. طه حسين، في الأدب الجاهلي، (ص: 202- 204).
28- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 445/2، 325).
: البكري، معجم ما استعجم، (ج 2/ 477، 548).
: الزوزني، شرح المعلقات السبع، (ص: 4-8).
29- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 259/2، ج 174/5).
: البكري، معجم ما استعجم، (ج 324/1، ج 1251/4).
: الزوزني، شرح المعلقات السبع، (ص: 4-8).
30- تيماء مدينة قديمة تقع على بعد 100 كم شمال شرقي مدائن صالح، وهي مركز حضاري عربي قديم، وقد جاء ذكرها في نقش تيغلات بلاسر الثالث ملك أشور (744- 727) ق.م.
انظر: مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، إدارة الآثار والمتاحف وزارة المعارف، الرياض، (ص- 97) سنة 1975م.
31- انظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، (ص- 46).
: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج 21/1).
32- انظر: ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، (ص- 21).
: عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر العربي، (ج 32/1).
: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج 1/ 183).
33- انظر: المصدر الأول والمرجعين في الملاحظة السابقة (32).
34- هو عبيد بن ثعلبه بن يربوع من بني حنيفة، نزل اليمامة بموضع يقال له فادان، بها آثار فأقام بها.
انظر: البكري، معجم ما استعجم، (ج 84/1).
35- انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص: 19- 23).
36- انظر: ديوان طرفة بن العبد، (ص- 19).
37- انظر: ديوان النابغة الذبياني، (ص – 30).
38- انظر: ديوان الأعشى، (ص- 47).
39- المصدر السابق، (ص- 71).

40- المصدر السابق، (ص- 106).
41- المصدر السابق، (ص- 132).
42- انظر: الهمداني، الاكليل، (ص- 69).
43- انظر: ديوان الأعشى، (ص- 183).
44- المصدر السابق، (ص- 25).
45- انظر المصدر السابق، (ص- 14).
46- المصدر السابق، (ص- 55).
47- المصدر السابق، (ص- 147).
48- انظر: ديوان طرفة بن العبد، (ص: 30).
49- انظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، (ص: 26).
50- انظر: ديوان الأعشى، (ص- 200).
51- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج2/ 267- 269).
: البكري، معجم ما استعجم، (ج1/ 453- 455).
: سراج الدين بن عمرو الوردي، خريدة العجائب، (ص: 36- 37).
52- انظر: الخطيب التبريزي شرح اختيارات المفضل، (ج 2/ 969).
: الهمداني، صفة جزيرة العرب، (ص: 397).
53- انظر: البلاذري، فتوح البلدان، (ص 69).
: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 2/ 423).
54- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 2/ 423).
55- انظر: البكري، معجم ما استعجم، (ج1/ 5-90).
56- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 3/ 205).
57- انظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة، (ص- 301).
58- انظر: البكري، معجم ما استعجم، (ج 61/1).
ملاحظة: لم أجد هذا البيت في ديوان طرفة بن العبد، المطبوع بدار صادر، بيروت.
59- المصدر السابق، (ج 1/ 16).
60- انظر: الزوزني، شرح المعلقات السبع، (ص- 148).
61- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 5/ 262).
62- انظر: طه حسين، في الأدب الجاهلي، (ص- 186).
63- انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 3/ 267).
64- المصدر السابق، (ج 3/ 325).
65- انظر: ديوان الأعشى، (ص 116).
66- انظر: الهمداني، الاكليل، (ص- 48).
67- المصدر السابق، (ص- 50).
68- المصدر السابق، (ص- 15).
69- المصدر السابق، (ص- 55).
70- المصدر السابق، (ص: 64، 65).
71- المصدر السابق، (ص- 14).
72- انظر: جرجي زيدان، تاريخ الآداب العربية، (ج 134/1).
73- انظر: ديوان عنترة، (ص- 212).
74- المصدر السابق، (ص- 219).
75- انظر: ابن قتيبة، أدب الكاتب، (ص- 93).
:الألوسي، بلوغ الأرب، (ج 3/ 360).
76- المصدر والمرجع السابقين، (ج 360/3).
77- المصدر والمرجع السابقين، (ج 360/3).
78- المصدر والمرجع السابقين.
79- المصدر والمرجع السابقين.
80- المصدر والمرجع السابقين.
81- انظر: الهمداني، الاكليل، (ج 15/8).
82- انظر: الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، (ج 1/ 217- 218).
83- المصدر السابق، (ج 1/ 306، 315).
84- انظر: ديوان الأعشى، (ص- 88).

: عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر العربي، (ج 6/1).

85- انظر: الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، (ج 969/2).

: الهمداني، صفة جزيرة العرب، (ص- 397).

: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج 2/ 423).

86- انظر: ديوان النابغة، (ص- 43).

87- المصدر السابق، (ص- 48).

88- المصدر السابق، (ص: 87- 97).

89- المصدر السابق، (ص- 87).

90- انظر: ديوان طرفة بن العبد، (ص: 79- 80).

91- انظر: ديوان عنترة بن شداد، (ص- 56).

92- المصدر السابق، (ص- 187).

93- انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص- 85).

94- انظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة، (ص -45).

95- المصدر السابق، (ص- 119).

96- المصدر السابق، (ص: 298- 299).

97- المصدر السابق، (ص- 306).

98- انظر: الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، (ج 217/1- 218).

99- انظر: ديوان النابغة الذبياني، (ص- 48).

100- المصدر السابق، (ص- 30).

101- المصدر السابق، (ص: 78- 79).

102- انظر: ديوان الأعشى، (ص- 134).

103- انظر: الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل (ج 1/ 535- 544).

104- المصدر السابق، (ج 632/2- 634).

105- ربد النعام هي النعام الضارب لونها إلى السواد.

انظر: المصدر السابق، (ج 922/2- 923).

106- المصدر السابق، (ج 1009/2، 1054- 1055).

107- المصدر السابق، (ج 2/ 1107).

108- انظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة (ص: 297- 300).

109- انظر: ديوان زهير بن أبي سلمى، (ص: 20-22).

110- هي زوجة زهير بن أبي سلمى وقد ورد اسمها في مطلع معلقته التي أشرنا إليها عندما تكلمنا عن المكان في بداية هذا الجزء.

111- انظر: ديوان طرفة بن العبد، (ص: 33).

112- انظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة، (ص: 335).

113- انظر: الهمداني، الاكليل، (ج 8/ 14).

114- انظر: ديوان النابغة الذبياني، (ص: 33).

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العربي قبل الإسلام، (ج 3/ 79).

115- انظر: ديوان الأعشى، (ص: 117).

116- انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج1/ 308).

117- محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، (ج 4/ 67).

118- انظر: سورة (ص)، (الآيات: 36 -37).

"فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ، والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وغَوَّاصٍ".

119- انظر: سورة سبأ، (الآيات: 12- 14).

120- انظر: الصابوني، صفوة التفاسير، (ج 2/ 548- 549).

121- انظر: محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، (ج 3/ 368- 379).

122- المرجع السابق.

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 163/8).

123- المرجعان السابقين.

124- انظر: ديوان النابغة، (ص- 48).

فاستعجمت دار نعمى ما تكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

أي أن الدار عجزت عن الجواب لعدم وضوح الدلالات البيئية.

125- انظر: ديوان عنترة، (ص- 78).

كوحي صحائف من عهد كسرى فأهداها لأعجم طمطمي

والأعجم الطمطي هو الذي لا يفصح في كلامه.

126- يقول ابن النديم حول موضوع وحدة اللغة العربية العدنانية في كتابه الفهرست، (ص- 7):

".... فلما اتسع الكلام ظهر الشعر الجيد الفصيح في العدنانية وكثر هذا بعد معد بن عدنان، ولكل قبيلة من قبائل العرب لغة تنفرد بها وتؤخذ عنها وقد اشتركوا في الأصل قال [محمد بن اسحاق]: وأن الزيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم لأجل القرآن..."

ولقد تتطرق إلى وحدة القلمين العدناني والمسند الحميري كل من:

: محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، (ج 46، 5).

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 8/ 156).

127- انظر: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج 1/ 138).

: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص- 38)

: الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، (ج 1055/2).

128- انظر: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج 1/ 138).

129- انظر: ديوان طرفة بن العبد، (ص: 84).

: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص- 38).

130- انظر: محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، (ج 3/ 369).

131- انظر: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص- 39).

132- المرجع السابق.

133- المرجع السابق.

134- انظر: الخطيب التبريزي، شرح اختيارات المفضل، (ج 1/ 426).

135- انظر: ديوان لبيد بن أبي ربيعة، (ص: 297- 298).

: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، (ج 138/1).

136- انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 8/ 365).

137- ذكر أحمد الحوفي في كتابه، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص- 39).

إن الشعراء "عدي بن زيد العبادي، ولقيط بن يعمر الأيادي، وسويد بن الصامت الأوسي، وعبد الله بن رواحة، والربيع بن زياد العبسي، والمرقش الأكبر وأخوه حرملة، وكعب بن مالك الأنصاري، والزبرقان بن بدر وكعب بن زهير وأخيه بجير بن زهير، ولبيد العامري، جميعهم يجيدون القراءة والكتابة".

: انظر د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 9/ 252).

138- انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 5/3- 75).

139- انظر: هامش (رقم 138).

140- تتلخص قصة صحيفة المتلمس في أنه وابن أخته طرفه بن العبد تعرضا لغضب عمرو بن هند ملك الحيرة، فأراد الملك قتلهم، فكتب بصحيفتين إلى عاملة على البحرين وحملها للمتلمس وطرفة وأمرهما بالمسير إلى البحرين فرغب الأول عن المسير لشكوكه بما تحويه الصحيفة، أما طرفة فتابع المسير وسلم الصحيفة إلى عامل البحرين، فنفذ الأخير أمر الملك وقتل طرفة، وبهذا قال المتلمس شعراً:

أودي الـــذي علـــق الصـــحيفة منهمـــا ونجـــا حـــذار حياتـــه المـــتلمس

الـــق الصـــحيفة، لا أبالـــك أنـــه يخشـــى عليـــك مـــن الحبـــا النقـــرس

: انظر د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 267/8).

141- تتلخص قصة صحيفة لقيط في أن قومه اياد أغارت على بلاد الفرس وأوقعت بهم، فأراد الفرس الانتقام مما فعلت اياد بهم، فاستعدوا وبدءوا بتجهيز جيشهم، فتنبه لقيط بن يعمر الأيادي، الذي كان يعمل مترجماً عند كسرى، إلى نية الفرس بغزو اياد، فأرسل شعرا مكتوباً على صحيفة يحذرهم فيه من نية الفرس:

ســـلام بالصـــحيفة مـــن لقـــيط علـــى مـــن بالجزيـــرة مـــن اياد

بان الليـــت يأتـــيكم دلاقـــا فـــلا يحســـبكم شـــوك القتـــاد

انظر: محمود الألوسي، بلوغ الأرب، (ج 3/ 373).

: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص- 40).

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 8م/ 267).

142- وتتلخص قصة صحيفة المقاطعة في أن قريش تعاهدت على مقاطعة بني هاشم، وبني عبد المطلب، عندما رفض بنو هاشم التخلي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فكتبت قريش صحيفة المقاطعة وعلقتها في الكعبة.

انظر: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص- 36).

143- ذكر محمد بن سلام الجمحي في كتابه، طبقات الشعراء، (ص- 91): أن قريش وجدت في صحيفة أحد الأيام بيتين من الشعر مكتوبين على باب دار الندوة:

الهـــي قـــريش عـــن المجـــد الأســـاطير ورشـــوة مثـــل مـــا ترشـــى السفاســـير

وأكلهـــا اللحـــم بحتـــا لا خلـــيط لـــه وقولهـــا: رحلـــت عـــير أتـــت عـــير

انظر: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص- 37).

144- عرض الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، في كتابه، تاريخ الآداب العربية، (ج 183/3- 189) لموضوع المعلقات ونفي تعليقها على جدار الكعبة.

انظر: د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (ج 140/1).

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 9/ 250- 265).

145- جاء تحديد هوية بناة الكعبة في سياق القصيدة، عندما مدح زهير كلا من هرم بن سنان والحارث بن عوف، اللذين قاما بالصلح بين عبس وذبيان، فاقسم بالبيت الحرام ذاكرا من بناه، وقد قدم قريش على جرهم لأجل القافية، وليس المقصود بهذا التقديم تزييف التاريخ، وإنما أشراك القبيلتين بنفس العمل بدون تحديد زمني.

انظر: ديوان زهير، (ص: 23).

: الزوزني، شرح المعلقات السبع، (ص- 92).

146- انظر: سورة البقرة، الآية: 127: "وإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وإِسْمَاعِيلُ".

147- انظر: ابن السائب الكلبي، الأصنام

: محمود الألوسي، بلوغ الأرب، (ج 3/ 194-211).

: أحمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، (ص: 380- 401).

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 6/ 212- 335).

148- انظر: القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية: 135.

" قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ومَا كَانَ مِنَ المشْرِكِينَ" سورة آل عمران، الآية: 67 "مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ولا نَصْرَانِيًّا ولَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ومَا كَانَ مِنَ المشْرِكِينَ".

سورة آل عمران، الآية: 95: "**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**"

سورة النساء، الآية: 125: "**واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**..."

سورة النحل، الآية: 120: "**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا**..."

سورة النحل، الآية: 123: "**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**.."

انظر: محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، (ج 3/ 196).

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 9/449- 510).

149- ذكر ابن الكلبي في كتابه، الأصنام، (ص: 5-8): أن الأصل في عبادة الأصنام هو تفرق أولاد إسماعيل عليه السلام، فلما تفرقوا وارتحلوا عن مكة كانوا يحملون معهم حجارة من الحرم، "تعظيماً للحرم وصبابة بمكة" وكانوا يطوفون حول هذه الحجارة كطوافهم بالكعبة، "بالرغم من زيارتهم لمكة وحجهم للبيت"، ثم استقر بهم الأمر إلى عبادة هذه الحجارة وإلى عبادة الأوثان التي كانت سائدة قبل الحنيفية، وتأكد انتماؤهم إلى الوثنية وتخليهم عن الحنيفية عندما انتزع عمرو بن لحى أمر مكة فاحضر تماثيل حجرية من الشام ونصبها حول الكعبة.

انظر: محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، (ج 3/ 200).

: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 6/ 450).

150- ريام بيت لحمير يقع في مدينة صنعاء، وهدم في عهد تبع، وقد قال فيه الأفوه الأودي.

شعرا أورده الهمداني في الاكليل، (ج 8/66):

أنا بنو أود الذي بلوائه صعبت رئام وقد غزاها الأجدع

انظر: ابن الكلبي، الأصنام، (ص- 11).

151- ذكر ابن الكلبي، في كتابه، الأصنام، (ص: 19- 20): أن الغبغب هو منحر مخصص لنحر هدايا العزى. بينما ذكر جواد علي، في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 6/ 228): أن الغبغب عبارة عن حفرة تحت اللات تحفظ فيها الهدايا والنذور والأموال المقدمة للات، ولم يذكر د. جواد علي المصدر الذي استقى منه هذه المعلومات، كما أن الطبري الذي ذكر قصة هدم اللات، في كتابه، تاريخ الطبري، (ج3/ 98-100)، لم يلمح بشيء عن الغبغب وبهذا نميل إلى ترجيح رأي ابن الكلبي.

152- ذكر ابن الكلبي، الأصنام، (ص- 34): أن ذي الخلصة "كان مروة" بيضاء منقوشة، عليها كهيئة التاج. وكانت بتباله، بين مكة واليمن".

انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 6/ 270- 445، 273).

153- ذكر ابن الكلبي، الأصنام، (ص- 45): أن كعبة اياد كانت في منطقة سنداد بين الكوفة والبصرة، وأنها كانت منزلاً شريفاً وليست بيت عبادة.

انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 6/228).

154- ذكر بن الكلبي، الأصنام، (ص: 27- 28): أن هبل كان من أعظم أصنام قريش وكان موضوعاً في جوف الكعبة، وهو من العقيق الأحمر منحوت على صورة الإنسان، ومكسور اليد اليمنى، وقد جعلت له قريشاً يدا من ذهب عوضاً عن اليد المكسورة.

انظر: د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 6/ 250-253).

155- إضافة المصادر والمراجع التي ذكرناها سابقاً مثل الأصنام، وبلوغ الأرب... انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (ج4/ 463).

: القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، (ص: 113- 115).

156- ذكر د. جواد علي، في كتابه، المفصل في تاريخ العربي قبل الإسلام، (ج 6/417)، بناء كعبة نجران بالجلد ونسب ذلك إلى ابن الكلبي، وبالرجوع إلى كتاب الأصنام، (ص: 44- 45)، لم نجد ذكراً للجلد كمادة بناء لكعبة نجران.

157- اعتبر د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (ج 6/ 658- 659)، أن الناقوس هو العنصر الذي يميز معابد النصارى من معابد اليهود والوثنيين، وقد قام بحصر الأبيات الشعرية التي ورد فيها ذكر الناقوس.

158- حنت قلوصي بها والليل مطرق بعد الهدوء وشاقتها النواقيس

نقلاً عن المرجع السابق.

159- وتسمع تزقاء من البوم حولنا كما ضربت بعد الهدوء النواقيس

نقلاً عن المرجع السابق.

160- وكأس كعين الديك باكرت حدها بفتيان صدق والنواقيس تضرب

نقلاً عن المرجع السابق، وديوان الأعشى، (ص- 11).

161- وقد سبأت لفتيان ذوى كرم قبل الصباح ولما تقرع النقس

نقلاً عن المرجع السابق.

162- كانت بداية اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالدين المسيحي في عهد الإمبراطور قسطنطين (288- 370)، عندما دعا إلى مؤتمر نيقيه سنة 325م، ثم نقل عاصمته إلى بيزنطه (القسطنطينية) سنة 330، وذكر المسعودي في كتابه، مروج الذهب، (ج1/ 350- 354) أن "أم قسطنطين هيلانه قامت ببناء الكنائس في بلاد الشام بعد مؤتمر نيقيه". ومنذ هذا الوقت ابتدأت المسيحية باستعارة أشكال كنائسها من المباني الرومانية المعروفة "بالبازيليكا" والتي كانت تقام في روما لخدمة الأغراض التجارية.

انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (ج1/ 153/ 157).

ولمعرفة وظيفة البازيليكا، انظر موسوعة كولومبيا الأمريكية، مدخل الباء.

163- "... وإذا صليتم فادخلوا بيوتكم، وأغلقوا أبوابكم ولا يسمعكم أحد..."

انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (ج1/ 70).

: انجيل برنابا، (ص: 53- 64).

164- "ولا تهتموا بمعاشكم، ولا ما تأكلون، ولا ما تشربون، ولا ما تلبسون، وانظروا إلى طير السماء لا يزرعن، ولا يحصدن، ولا يجمعن في البيوت...".

انظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، (ج1/ 71).

: انجيل برنابا، (ص: 53- 64).

165- المسيحية دين عاطفي لا يحوي فكراً قادرا على إبراز أية ظاهرة حضارية كالفن والعمارة فأي دراسة عميقة وتحليلية للإنجيل لن تثري فكر القارئ في شيء، فلا تفكر في أمر الخلق ولا شواهد على دقة نظام الكون، ولا تنظيم للمجتمع، ولا دستور دنيوي ولا حث على العلم، ولا فلسفة للتاريخ، ولا منهج اقتصادي...

166- ذكر الهمداني، في الإكليل، (ج 8/ 66)، كلمة "المساجد" لتدل على معابد وهياكل الحضارة العربية اليمنية قبل الإسلام.

167- انظر: الهامش (رقم- 162).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أحمد الحوفي: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين، 1382هـ، 1962م.
- إدارة الآثار والمتاحف: مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف، 395هـ، 1979م.
- أسامة بن منقذ: (488- 584هـ) المنازل والديار، جزءان، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، 1385هـ، 1969م.
- الأعشى، ميمون بن قيس- ديوانه، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 3 أجزاء، منشورات أمين دمج ودار الشرق العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- انجيل برنابا، تحقيق سيف الدين أحمد فاضل، دار القلم الكويت 1403هـ- 1983م.
- البغدادي، عبد اللطيف، (577- 5629)، الإفادة والاعتبار، تحقيق أحمد سبانو، دار قتيبة، دمشق، 1403هـ، 1983م.
- بديع العابد، الفكر المعماري العربي –جذوره وأبعاده- التفسير التاريخي، بحث مقدم إلى ندوة الحضارة الإسلامية، المنعقدة في الكويت، 17- 1984/12/20م.
- البكري- عبد الله (المتوفي 487هـ) معجم ما استعجم، 4 أجزاء، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- البلاذري، أبي العباس، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، (المتوفي 271هـ)، دار النشر للجامعيين، بيروت، 1957م.
- البيروني، أبو الريحان، محمد بن أحمد (المتوفي في 440هـ، 1048م) الآثار الباقية من القرون الخالية، طبعة ليبزغ، برلين، 1878م.
- التبريزي، يحيى بن علي، الخطيب، (421- 502هـ)، شرح اختيارات المفضل، تحقيق فخر الدين قباوة، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1391هـ- 1971م.
- الجاحظ، عمرو بن حرب، (150- 255هـ)، الحيوان، 7 أجزاء، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، تحقيق عبد السلام هارون، 1938- 1945م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 10 أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م.
- جرجي زيدان، تاريخ الآداب العربية، 4 أجزاء، دار الهلال، القاهرة، 1957م.
- ابن رشيق، أبو علي الحسن ابن رشيق، (390- 456هـ)، العمدة، جزءان، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، دار الجيل، دمشق 1972م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، (1145- 1205هـ) تاج العروس، مطبعة حكومة الكويت، متسلسل الصدور.
- زهير بن أبي سلمى، ديوانه، المكتبة الثقافية، بيروت، 1968م.
- الزوزني، الحسن بن أحمد، شرح المعلقات السبع، مكتبة محمد علي صالح، القاهرة، 1978م.
- ابن سلام، محمد بن سلام الجمحي، (المتوفي 232هـ) طبقات الشعراء، غير مذكور اسم الناشر أو سنة النشر.
- السياغي، حسين أحمد، معالم الآثار اليمنية، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، صنعاء، 1980م.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، 5 أجزاء، الطبعة العاشرة، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ نشر.
- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، (المتوفي 310هـ)، 11 مجلد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1967م.
- طرفة بن العبد، ديوانه، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- طه حسين، في الأدب الجاهلي، الطبعة الرابعة عشرة، دار المعارف، القاهرة، 1981م.
- عبد الرحمن الأنصاري، قرية الفاو، جامعة الرياض، (1375- 1402هـ).
- عبد الرحمن الأنصاري وآخرون، مواقع أثرية مصورة من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، 1984م.
- عبد العظيم قناوي، الوصف في الشعر الجاهلي، الجزء الأول، مصطفى البابي الحلبي، 1368هـ، 1949م.
- عنترة بن شداد، ديوانه، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (213- 276هـ) الشعر والشعراء، دار أحياء العلوم، بيروت، 1404هـ، 1984م.
- –، أدب الكاتب، دار صادر، بيروت، 1387هـ، 1967م.
- ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب الكلبي، (المتوفي 204هـ)، الأصنام، تحقيق أحمد زكي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1384هـ، 1965م.
- لبيد بن أبي ربيعة، ديوانه، شرح وتحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1962م.

- محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي، 13 جزءا، المكتبة العصرية، بيروت، 1402هـ، 1981م.
- محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 3 أجزاء، دار القرآن الكريم، بيروت، 1402هـ، 1981م.
- المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 4 أجزاء، دار الأندلس، بيروت، 1981م.
- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، 3 أجزاء، دار الكتاب العربي، بيروت، 1379هـ، 1959م.
- النابغة الذبياني، ديوانه، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- ناجي زين الدين المصرف، مصور الخط العربي، مكتبة النهضة بغداد، 1400هـ، 1980م.
- –، موسوعة الخط العربي، جزءان، دار الثقافة والإعلام، بغداد، 1984م.
- ابن النديم، محمد بن أسحق بن يعقوب، (297– 378هـ)، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1398هـ، 1978م.
- الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب، (المتوفي 350هـ)، الاكليل، الجزء الثامن، تحقيق أمين فارس، دار العودة، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- –، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع الحوالي، دار اليمامة، الرياض، 1394هـ، 1974م.
- الوردي، سراج الدين، خريدة العجائب، مطبعة الشيخ عثمان، القاهرة، 1309هـ.
- ياقوت الحموي، (المتوفي 626هـ، 1228م)، معجم البلدان، 5 أجزاء، دار صادر بيروت، 1397هـ، 1977م.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب (المتوفي 284هـ أو 292هـ)، تاريخ اليعقوبي، جزءان دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر.

من مؤلفات الدكتور بديع العابد:

* Al-Hifadh al-M`amariy fiy al-Hadhara al-Arabiya al-Islamiyyha, (2010)

الحفاظ المعماري في الحضارة العربية الإسلامية

Architectural Conservation In Arabic Islamic Civilization, published by The Islamic Educational Scientific and Cultural Organization (ISESCO), Rabat –Morocco.

* The Architectural Identity Of Jerusalem, The Dome Of The Rock Or The So-Called Temple, (2009)

الهوية المعمارية للقدس– قبة الصخرة أم الهيكل المزعوم

published by the support of The Ministry of Culture in the occasion Jerusalem is the Capital of Arabic Culture, Amman –Jordan.

* Al-Markiz ath-Taqleadiy li-Madinat al-Quds Baiyn ath-Tawasol wa-Taquwied – Dawer at-Thakhtiyt al- 'Omraniy fiy al-Quada``ala Hawiytoho al-M`mariya. (2008)

المركز التقليدي لمدينة القدس بين التواصل والتقويض- دور التخطيط العمراني في القضاء على هويته المعمارية

The Traditional Center Of Jerusalem Between Continuity & Destruction The Role Of Urban Planning In Destroying Its Architectural Identity, published by The Cultural Department, Great Municipality of Amman, Amman – Jordan.

* Co-Editor of the Proceeding Book of The Fifth Scientific Conference of the Jordanian Society for the History of Science, ar-Riydhiyat Fi al-Hadhara al-Arabiya al-Islamiya – `Alim wa `Alim, (Mathematics In Arabic Islamic Civilization – Science & Scientist)

الرياضيات في الحضارة العربية الإسلامية علم وعالم

Published by The Jordanian Society For The History Of Arabic Science, Dar al-Yaquot, Amman – Jordan, 2008.

* Co-Editor of the Proceeding Book of The Fourth Scientific Conference Of Jordanian Society For The History Of Science), (The Role Of Arabic Islamic Science In The Progress Of Western Science)

دور التراث العلمي العربي الإسلامي في المنجزات العلمية الغربية

Published by The Jordanian Society For The History Of Arabic Science, Dar Wael, Amman – Jordan, 2004.

* Ph.D. Thesis, Aspects Of Arabic Islamic Architectural Discourse, published by The Technical University Of Delft, With ISBN No. 909005005-1, April 1st, 1992.
* Editor Of The Special Architectural Issue Of The Magazine Of The Jordanian Engineer, published in the occasion of the 7th Architectural Week, No., 51, 29th June, 1993.